د.مصطفى على دويدار (*)

الطب المصرى فى العصر الفاطمى
وأثـره فـى الحضـارة الأوروبيـة

مقدمة :

فى الوقت الذى كان فيه الطب العربى (قبل الإسلام) بدائيًا ، يتناقله الناس شفهيًا فى غير نظام ، وهو فى الواقع طبًا شعبيًا ينحصر داخل حدود الجزيرة العربية ، كانت مصر تشهد تقدمًا كبيرًا فى هذا المجال ، وهو ما كشفت عنه البرديات الطبية القبطية مثل بردية زويجا الطبية Zoega Medical Papyrus المحفوظة فى مكتبة الفاتيكان ، وبردية شاسيناه (بردية المشايخ) Chassinat Medical Papyrus التى تعتبر واحدة من أهم المراجع الخاصة بالأنوية والعلاج الطبى ، وبردية زينون Xenon Medical Papyrus وغيرها من البرديات المصرية المنتشرة فى متاحف باريس ولندن وتورينو وبرلين وبودابست والفاتيكان (١).

ولعل هذا ما يؤكد أثر الحضارة المصرية بوجه خاص والعربية بوجه عام ، فى مجال الطب ، فى الحضارة الأوروبية والعالمية ؛ ولاشك فى أن المصريين ظلوا يتوارثون هذا التراث جيلاً بعد جيل ، خلال العصر الإسلامى ، فنبغ منهم عدد لا بأس به من الأطباء كان لهم الفضل فى نقل هذا العلم وتطويره ، ولعل ذلك هو السبب الرئيسى فى أن أغلبهم كان من أهل الذمة ، أى من سكان مصر الأصليين الذين لاقوا رعاية كبيرة واهتمامًا بالغًا

---

* مدرس بكلية الآداب – جامعة طنطا .

من ولاة مصر المسلمين ، فكانوا يمارسون الطب بالوراثة أو بقراءته فى كتب الأقدمين ثم يباشرونه بدون قيود (٢).

وقد شهدت مصر تطوراً هائلاً فى مجال الطب منذ الفتح الإسلامى وحتى قيام الدولة الفاطمية ، وذلك على يد عدد من العلماء من العرب وأهل الذمة ، ومن أشهر الأطباء المسلمين المصريين والعرب ، الحسن بن زيرك (ت : ٢٦٩ هـ / ٨٨٢م) طبيب مصر فى عصر أحمد بن طولون ، حيث كان من جملة الأطباء المقربين لدى هذا الأمير " يصحبه فى الإقامة ، وكان حاذقًا فى صناعته مقدمًا فيها " (٣). ومنهم أيضًا خلف الطولونى ، أبو على (ت ٣٠٥هـ / ٩١٧م) الذى تخصص فى طب العيون وكان له فيه معرفة جيدة ، فوضع مؤلفًا طبيًا عن أمراض العيون ومداواتها ، عرف باسم " كتاب النهاية والكفاية فى تركيب العينين وخلقتهما وعلاجهما وأدويتهما " ألفه بين سنتى ٢٦٤ و ٣٠٢ هـ (٤). وفى أيام كافور الإخشيدى اشتهر أحد الأطباء العرب ويعرف باسم البالسى (؟) وكان طبيبًا فاضلاً متميزًا فى معرفة الأدوية المفردة وأفعالها ، حيث ألف فيها كتابًا ، أهداه إلى كافور الإخشيدى عرف باسم " كتاب التكميل فى الأدوية المفردة " (٥).

أما الأطباء من أهل الذمة الذين ذاع صيتهم قبل العصر الفاطمى ، فمنهم بليطان الطبيب القبطى ، الذى كان بطريركًا بالإسكندرية ، أيام الخليفة العباسى أبو جعفر المنصور (١٣٦ - ١٥٨هـ / ٧٥٤ - ٧٧٥م) ، كما أن هارون الرشيد (١٧٠ - ١٩٣هـ / ٧٨٦ - ٨٠٩م) ، وهبه مالاً كثيرًا لقاء قيامه بعلاج إحدى جواريه ، وكتب له منشورًا فى كل كنيسة استولى عليها اليعاقبة بردها إليه فاسترد كنائس كثيرة إلى أن توفى سنة ١٨٦هـ / ٨٠٢م(٦).

وفى أيام الطولونيين نبغ عدد كبير من الأقباط فى مجال الطب ، ولعل السبب الرئيسى فى ذيوع صيتهم ، نتج عن شغف أحمد بن طولون باصطحاب الأطباء فى حله وترحاله خاصة وأنه كان يعانى فى آخر أيامه من مرض عضال أدى فى النهاية إلى وفاته ، ومن هؤلاء الأطباء إبراهيم بن عيسى الذى ولد بمصر وسافر إلى بغداد حيث تتلمذ بها على يد الطبيب يوحنا بن ماسويه ، ولما عاد إلى مصر دخل فى خدمة أحمد بن طولون بصناعة الطب ، وأقام بمدينة الفسطاط حتى وفاته سنة ٢٦٠هـ / ٨٧٥م (٧).

ومن أطباء أحمد بن طولون الأقباط ، اشتهر سعيد بن توفيل (ت ٢٧١هـ / ٨٨٤م) الذى كان متميزًا فى صناعة الطب ، يعد الدواء بنفسه فى داره ، ويساعده فى ذلك بعض غلمانه ،

الذين يقومون بسحق الأدوية ومزجها وإعدادها (٨). وكان له ابن نابغ فى الطب أيضًا تميز بجمال الشكل وحسن المظهر ، فلما طلب الأمير أحمد بن طولون من سعيد بن توفل طبيبًا لحريمه ، أحضر إليه ابنه هذا ، فرفض الأمير استخدامه لجماله ، فاستبدله بغلام له يدعى هاشم كان يقوم بسحق الأدوية له فى داره ، فتمكن هاشم هذا من إعداد الأدوية التى توافق الحريم وخاصة فيما يتعلق بالشحم والحمل ، وما يحسن اللون ويغزر الشعر ، حتى قدمنه على سعيد بن توفيل (٩).

وتجدر الإشارة إلى أن عصر أحمد بن طولون شهد العديد من الأطباء المسلمين والأقباط واليهود حتى أنه فى مرضه الأخير " أمر بجمع الأطباء فجمع له أطباء البلد الموصوفون فى التقدم فى الصناعة والحذق ، وكانوا إذ ذاك متوافرين ، فكانوا يحضرون فى كل يوم بين يديه"(١٠). ومما يؤكد وجود أطباء يهود بينهم إشارة المسعودى إلى أنه كان لأحمد بن طولون طبيبًا يهوديًا يحضر مجالسه (١١).

ومن أشهر أطباء ذلك العصر إسحق بن سليمان الإسرائيلى (ت ٣٢٠هـ / ٩٣٢م) وهو مصرى كحال ، لديه خبرة عظيمة بصناعة الطب (١٢). وقد استمرت الحركة الطبية فى تطورها فى زمن الإخشيديين مع نبوغ عدد من الأطباء الأقباط ، ومنهم نسطاس بن جريج النصرانى الذى عاصر محمد بن طغج الإخشيد (٣٢١ - ٣٣٤هـ / ٩٣٣ - ٩٤٥م) وكانت له مراسلات مع طبيب آخر من أهل الأندلس هو خالد بن يزيد بن رومان حيث أرسل إليه رسالة فى البول(١٣).

ومن أشهر أطباء الأقباط فى العصر الإخشيدى ، البطرك افتشيوس سعيد بن البطريق (ت٣٢٨هـ / ٩٤٠م) ، فإلى جانب شغله كرسى البطركية ، واشتهاره كمؤرخ ، كان حاذقًا فى ميدان الطب وكان أخوه عيسى بن البطريق عارفًا بصناعته ، وامتاز فى جزيئات المداواة والعلاج ، وبرع فيها ، وألف كتابًا فى الطب وكناشا فى الأدوية المفردة والمركبة؛ كما كان بارعًا فى التركيبات الصيدلية واستخداماتها فى العلاج (١٤).

وتجدر الإشارة هنا إلى أن مصر شهدت فى هذه الفترة عددًا من الأطباء الأندلسيين الذين وفدوا إليها وأقاموا بها ومارسوا الطب ، ومن أمثلتهم أبى عبد الله محمد بن عبدون الجبلى العذرى القرطبى ، الذى اتجه إلى المشرق فى سنة ٣٤٧هـ / ٩٥٨م ، ونزل مصر فتولى الإشراف على مارستان الفسطاط (١٥). ومنهم أيضًا الشيخ أبى الحسن على بن صالح

الأندلسى ، الذى حضر إلى مصر وأقام بها حتى وفاته (؟) ودفن بالقرافة ، وكان يرتزق من الطب حيث تخصص فى أمراض العيون ولهذا اشتهر بالكحال ، وقد نجح فى علاج بعض الحالات ، حتى أن أحد مرضاه من أهل الذمة أسلم بعد أن شفى على يديه من رمد كاد يصيبه بالعمى (١٦). ولعل هذا الحضور والرسائل المتبادلة بين الأطباء المصريين والمغاربة والأندلسيين بل والمشارقة أيضاً ، مما يؤكد على وجود تأثيرات طبية بينهم .

ومما لاشك فيه أن أطباء مصر فى عصر الولاة ودولتى الطولونيين والإخشيديين تركوا تراثاً قيماً فى هذا التخصص أفاد منه الأطباء اللاحقون وخاصة فى عصر الفاطميين ، ومما يؤكد ذلك أن إسحق بن سليمان الإسرائيلى اعتمد فى كتابه " البول "(١٧) على ما ألفه المتقدمين ، أما كتابه " الحميات " فهو لا نظير له ، قال عنه على بن رضوان (ت ٤٢٥هـ / ١٠٦١م) رئيس الأطباء فى مصر الفاطمية : " إن هذا الكتاب نافع وجمع رجل فاضل ، وقد عملت بكثير مما فيه فوجدته لا مزيد عليه ... " (١٨).

اشهر اطباء مصر فى العصر الفاطمى:

لقد شهدت مصر فى العصر الفاطمى تطوراً هائلاً فى مجال الطب ، حيث أصبحت قبلة للأطباء الوافدين إليها من المشرق والمغرب ، وهو الأمر الذى ساعد على تنوع الأفكار الطبية وثرائها ، بالإضافة إلى إسهامات الأطباء المصريين ، على اختلاف معتقداتهم وديانتهم ، فقد اشتهر عدد كبير من الأطباء المسلمين والأقباط واليهود فى هذا العصر ، بما لا يدع مجالاً للشك فى أن هذه الفترة التاريخية شهدت نهضة طبية كبيرة ، تزعمها رجال نوى همم وقدرات خاصة أثروا المكتبة الطبية بالعديد من المؤلفات الهامة ؛ وذلك على الرغم من أنهم لم ينالوا من الشهرة مثلما نال غيرهم من الأطباء المعاصرين لهم فى أقطار أخرى من العالم الإسلامى ، أمثال ابن سينا والرازى والزهراوى وغيرهم من أولئك الأطباء الذين اشتهروا باكتشافاتهم وإنجازاتهم العلمية ، ولعل السبب فى عدم ذيوع شهرة الأطباء المصريين فى العصر الفاطمى أن الغالبية العظمى منهم كانوا يمثلون الأطباء الممارسين ، وبعضهم ممارس جيد لا أكثر ولا أقل (١٩).

١ – الأطباء المسلمون المصريون :

ومن بين هؤلاء الأطباء يبرز عدد من الأطباء من أهل مصر المسلمين ، وإن كانوا أقل شهرة من أقرانهم من أهل الذمة إذا ما استثنينا رئيس الأطباء فى مصر فى ذلك العصر وهو

الطبيب المصرى الأشهر أبو الحسن على بن رضوان ، وفى مقدمة هؤلاء الأطباء يبرز طبيب عاش فى أيام الخليفة الفاطمى الحاكم بأمر الله (٣٨٦ – ٤١١هـ / ٩٦٦ – ١٠٢٠م) ، هو أبو بشر طبيب العظيمية ، وصفه ابن أبى أصيبعة(٢٠) بأنه كان " مشهورًا فى الدولة ، ويعد من الأفاضل فى صناعة الطب " ؛ ومنهم أيضًا على بن سليمان الذى ولد بالقاهرة وعاش فى خلافة العزيز بالله (٣٦٥ – ٣٨٦ هـ / ٩٧٥ – ٩٩٦م) وولده الحاكم بأمر الله ، كما لحق أيام الخليفة الظاهر لإعزاز دين الله (٤١١ – ٤٢٧هـ / ١٠٢٠ – ١٠٣٥م) ، ولم يكن نابغًا فى صناعة الطب فحسب بل كان من العلماء الموسوعيين ، " متقنًا للحكمة والعلوم الرياضية ، متميزًا فى صناعة الطب ، أوحد فى أحكام النجوم " ومن مؤلفاته فى مجال الطب : " اختصار كتاب الحاوى فى الطب " و " كتاب الأمثلة والتجارب والأخبار والنكت والخواص الطبية المنتزعة من كتب أبقراط وجالينوس وغيرهما " (٢١).

ولا يخلو الأمر من اشتغال بعض الأمراء المصريين بصناعة الطب ، ومن أشهرهم المبشر بن فاتك وهو الأمير محمود الدولة أبو الوفاء الآمرى من أعيان أمراء مصر ، اشتهر ببراعته فى العلوم والطب ، وكان قد تتلمذ على يد الحسن بن الهيثم وعلى بن رضوان ، وألف كتابًا فى الطب (٢٢). أما أشهر أطباء عصره قاطبة ، فهو الطبيب المصرى أبو الحسن على بن رضوان ابن على بن جعفر ، الذى ولد فى الجيزة سنة (٣٨٣هـ / ٩٩٨م) فى أسرة فقيرة ، فكان والده فرانًا ، ولذلك بدأ حياته العلمية والعملية معًا منذ صباه فى تحصيل العلم بسبب ضائقته المالية فكان يتكسب من ممارسة التنجيم والطب تارة وبتدريسهما تارة أخرى حتى توفر لديه المال الكثير فاقتنى أملاكًا فى مدينة الفسطاط وأصبحت لديه مدخرات تعينه فى شيخوخته (٢٣).

ومن الواضح أن بن رضوان قد بلغ بعلمه فى الطب غايته ، الأمر الذى جعله يتميز على سائر أطباء مصر بل ومن وفد إليها من المشرق والمغرب ، فقربه الخليفة الحاكم بأمر الله إليه ، وجعله طبيبه الخاص ، وعينه رئيسًا للأطباء (٢٤).

وقد اعتمد ابن رضوان أسلوبًا فى معالجة مرضاه ، يقوم على المشاهدة والدلالات ، حيث ينقل عنه ابن أبى أصيبعة(٢٥) قوله : " إذا دعيت إلى مريض فاعطه ما لا يضره إلى أن تعرف علته فتعالجها عند ذلك ، ومعنى معرفة المرض هو أن تعرف من أى خلط حدث أولاً ، ثم تعرف بعد ذلك فى أي عضو هو وعند ذلك تعالجه " . كما يوصى الأطباء عند الكشف على المريض بتوجيه الأسئلة إليه ، وكذا حس مواضع المرض ، حيث يقول : أما فيما يمكن ظهوره للحس

فلا تقنع فيه حتى تشاهده بالحس ، وأما فيما يتعرف بالاستدلال فاستدل عليه بالعلامات الخاصة ؛ وأما فيما يتعرف بالمسألة فابحث عنه بالمسألة ؛ حتى تعتبر كل واحد من العيوب ، فتعرف هل هو عيب حاضر أو كان أو متوقع أم الحال حال صحة وسلامة " ولذلك كان يوصى بفحص المريض فحصاً دقيقًا بالتفرس فى وجهه وملاحظة تنفسه ولون جلده والتأكد من سلامة عقله ، ثم التعرف على أحواله الخلقية والهمس فى أذنه لمعرفة قوة سمعه ، وأن يفحص قوة إبصاره ولسانه وقوته الجسدية ثم يفحص نبضه ومواضع كبده وكليته ثم برازه وبوله ، وعلى ذلك يقرر الدواء المناسب لحالته (٢٦).

وقد ألف ابن رضوان العديد من المصنفات الطبية ، وهى تزيد على المائة كتاب منها " كتاب شرف الطب "(٢٧) الذى يحتوى على شروط يجب أن تتوفر فى الأطباء ، رتبه ابن رضوان فى سبعة أبواب ضمنها بعض تعاليم الأوائل مثل " أبقراط " و " جالينوس " لممارسة تلك الصناعة(٢٨).

ومن اشتغل بالطب فى هذا العصر أيضاً بلمظفر بن معرف ، وهو بلمظفر نصر بن محمود ابن المعرف (٥٧١هـ / ١١٧٥م) ؛ على أنه فيما يبدو لم يتخذ من الطب مهنة أساسية له ، وربما كانت مجرد هواية لديه حيث يقول ابن أبى أصيبعة (٢٩): " كان ذكيًا فطنًا ، كثير الاجتهاد والعناية والحصر فى العلوم الحكمية ، وله نظر أيضًا فى صناعة الطب والأدب ويشعر". فهو يعد من الفلاسفة الذين " درسوا الطب على جزء من المعرفة لا غنى عنه ، وسعيهم إلي استكمال المعرفة هو الذى دفعهم إلى درس الطب " (٣٠). وعلى الرغم من ذلك فقد احتفظ فى داره بمجلس كبير مشحون بالكتب ، ضمت ألوفًا فى كل فن ، كان من بينها كتبًا كثيرة من كتب الطب ، ومن مؤلفاته : تعاليق فى الكيمياء وكتاب فى علم النجوم ، أما كتابه فى الطب فيعرف باسم : " مختارات فى الطب " (٣١).

ومع قرب نهاية الخلافة الفاطمية فى مصر برز على الساحة الطبية عالم نو فضل كبير فى هذا المجال هو شرف الدين عبد الله بن على المعروف باسم " الشيخ السديد " وقد حمل عدة ألقاب تدل على علو قدره وارتفاع شأنه ومنها " رئيس الطب " (٣٢) و " شيخ الطب بالديار المصرية " (٣٣)، كما كان يحمل لقب " القاضى الأجل " أما لقب " الشيخ السديد " فقد كان لقب أبيه غير أنه عرف به أيضًا ؛ وهو من بيت اشتهر بصناعة الطب ، فوالده كان " طبيبًا للخلفاء الفاطميين ، مشهورًا فى أيامهم " ، وآخر من خدمهم الخليفة الآمر بأحكام الله ، حيث

يقول الابن : " ... إن أبى كان فى خدمت (الخليفة الآمر) وكان مكينًا عنده ... " ؛ وقد اصطحب الأب ابنه فى إحدى زياراته للخليفة الآمر ، واطلع الخليفة على نجابة الصبى وقدرته فى صناعة الفصد ، فأصبح منذ ذلك اليوم طبيبًا خاصًا للخليفة الآمر والخلفاء من بعده ، إلى أن زالت الخلافة الفاطمية ، فدخل فى خدمة السلطان صلاح الدين الأيوبى (٣٤).

٢ – الأطباء الأقباط :

كان الطب من أهم الميادين التى نبغ فيها الأقباط ، لما جبلوا عليه من اطلاع على ما صنفه الأقدمون من أجدادهم ، والوافدون على مصر فى عصور مبكرة من العلماء اليونانيين الذين قدموا إلى الإسكندرية فى عصر البطالمة والرومان أمثال أبقراط وجالينوس أشهر من عملوا بالطب وصنفوا فيه العديد من المؤلفات (٣٥).

وفى العصر الفاطمى اتسعت شهرة الأطباء الأقباط ، خاصة فى ظل سياسة التسامح الدينى التى انتهجها أغلب الخلفاء الفاطميين ، ومن أشهر الأطباء المسيحيين الذين خدموا الخليفة المعز لدين الله الفاطمى (٣٦٢ – ٣٦٥هـ / ٩٧١ – ٩٧٥م) وابنه الخليفة العزيز من بعده ، الطبيب أبو سهل كيسان بن عثمان بن كيسان ، كان ماهرًا فى تشخيص الداء وتحضير الدواء (٣٧٨هـ / ٩٨٨م)(٣٦) وكان أخوه أبو الحسن سهلان بن عثمان بن كيسان أكثر شهرة منه ، فقد خدم الخليفة المعز وابنه العزيز أيضًا ، " وارتفع جاهه فى الأيام العزيزية " (ت ٣٨٠هـ / ٩٩٠م) ومن مؤلفاته كتاب : " مختصر فى الطب " صنفه للخليفة العزيز بالله ، وكتاب " مختصر فى الأدوية المركبة المستعملة فى أكثر الأمراض " (٣٧).

ومنهم أيضًا يوسف النصرانى الطبيب الذى " كان طبيبًا عارفًا بصناعة الطب فاضلاً فى العلوم " عينه الخليفة العزيز بالله بطريركًا على بيت المقدس سنة ٣٧٠هـ / ٩٨٠م ، ثم مرض وعاد إلى مصر وتوفى سنة ٣٧٤هـ / ٩٨٤م (٣٨).

أما أشهر أطباء العزيز بالله ، فهو أبو الفتح منصور بن سهلان بن مقشر النصرانى ، وقد وصف بأنه أشهر أطباء مصر وأحذقهم فى الطب والعلاج ، ولما توفى الخليفة العزيز وولى بعده ابنه الحاكم بأمر الله دخل ابن مقشر فى خدمته وصار من خواص أطبائه (٣٩) ، وعلى الرغم من تقدمه فى علم الطب إلا أنه لم يترك مؤلفًا فى هذا المجال حيث ينكر القفطى أنه " ... لم يشتهر عنه علم فى هذا الشأن ولا يظهر له تصنيف " (٤٠). وبعد وفاة ابن مقشر استطب الحاكم بأمر الله أبا يعقوب إسحق بن إبراهيم بن نسطاس النصرانى الذى توفى فى أيام

الحاكم بأمر الله أيضًا(٤١) غير أن ابن مقشر أعقب ولدًا نبغ فى الطب وأخذ مكانة لا تقل عن مكانة والده عند الخليفة الحاكم الذى أصبح يعتمد عليه فى صناعة الطب (٤٢)، فقد وصف بأنه " كان طبيب وقته ، عارفًا بالطب ... " إلا إنه كان على ما يبدو شغوفًا بشرب الخمر ، الأمر الذى عجل بنهايته ، حيث لقى مصرعه غرقًا فى بركة ماء وهو مخمور فاقد الوعى (٤٣).

ومن أطباء العصر الفاطمى برز اسم أبو سعيد بن قرقة الحكيم متولى الاستعمالات بدار الديباج وخزائن السلاح (٤٤)؛ وله دار وحمام اشتهرا به كانا قائمين بأول حارة زويلة بالقاهرة(٤٥)، وعرف عنه أنه كان ماهرًا فى علم الطب والهندسة وغيرهما من علوم الأوائل(٤٦)، انتهت حياته بالقتل على يد الخليفة الحافظ لدين الله (٥٢٤هـ - ٥٤٤هـ / ١١٣٠ - ١١٤٩م) ، فقد روت المصادر التاريخية ، أخبار الفتنة التى نتجت عن العداوة بين الأمير حسن بن الحافظ والأمراء والأجناد الذين تخوفوا منه بسبب عظم أمره وقوة شوكته ، واجتمعوا على خلع الخليفة الحافظ سنة ٥٢٩هـ ، وأمام عظم هذه الفتنة قرر الخليفة قتل ابنه إرضاء للجند الثائرين حتى تخمد فتنتهم ، فأمر طبيبه اليهودى أبى منصور ، أن يعد جرعة من السم لولده حسن ، فامتنع الطبيب أبو منصور اليهودى عن ذلك وأقسم أنه لا يعرف طريقة إعداد مثل هذه السقية ، فأحضر الخليفة الطبيب ابن قرقة النصرانى وأطلعة على ما يريد عمله ، فأعد سمًا أكره الخليفة ولده على شربه فمات فى الحال (٤٧). فلما قتل حسن وسكن الجند الثائرون قبض الحافظ على ابن قرقة وقتله بخزانة البنود ، واستولى على جميع أملاكه : وأنعم على أبى منصور اليهودى الطبيب وجعله رئيسًا على اليهود (٤٨).

٣ - الأطباء اليهود :

يمثل اليهود الشرقيون الذين عاشوا فى الأمصار الإسلامية ، جزء لا يتجزأ من الحضارة العربية الإسلامية ، حيث تأدبوا بآداب الإسلام ، وكتبوا باللغة العربية ، وساهموا فى إثراء التراث الإسلامى ؛ " فهم ، وإن لم يكونوا مسلمين فى الدين ، كانوا عربًا مسلمين فى الثقافة والعلوم"(٤٩) ولم يكن اليهود في مصر بمعزل عن المجتمع أو يشكلون طائفة من غير المصريين، ولا ينظر إليهم باعتبارهم أبناء جالية ذات خصائص اجتماعة ثقافية متمايزة ، بل ينظر إليهم باعتبارهم جماعة مصرية تعتنق دينًا يختلف عن دين الأغلبية ، ولاشك أن المسلمين والمسيحيين واليهود فى مصر ، شكلوا جسدًا اجتماعيًا واحدًا ، فقد شارك اليهود مشاركة فعالة فى الأحداث التى جرت فى مصر ، وكان لهم نصيبهم فى جميع الأنشطة ، وخاصة فى المجالات العلمية والثقافية (٥٠).

وقد تجلى دور اليهود فى الحياة العلمية والثقافية فى مصر الإسلامية فى العصر الفاطمى، وذلك تحت رعاية خلفاء اشتهروا بحسن معاملتهم لأهل الذمة بوجه عام واليهود بوجه خاص ، ففى مجال الطب لوحظ نبوغ أعداد كبيرة من الأطباء ، حتى أن أطباء الخلفاء الفاطميين من اليهود كانوا أكثر من أطبائهم من المسلمين والقبط ؛ وما من شك أنهم ساهموا بقدر وافر فى النهضة بالطب فى ذلك العصر ، سواء من ظل منهم على يهوديته ، أم من أسلم ، ونتيجة لنبوغ أكثرهم فى هذا المجال ، تولى البعض منهم رئاسة الأطباء فى مصر ، ودخلوا فى خدمة الخلفاء ، ورجال وحريم القصر الفاطمى ، وممن برز منهم فى عصر الخليفة المعز لدين الله الفاطمى ، الطبيب موسى بن إلعازار الإسرائيلى ، الذى اشتهر بالتقدم والحذق فى صناعة الطب ، وله العديد من المؤلفات الطبية منها : " الكتاب المعزى فى الطبيخ " الذى ألفه للخليفة المعز ، ومقالة فى السعال ، وكتاب " الأقربازين " ، وركب الكثير من الأدوية (٥١).

وامتداداً لهذا الطبيب اشتهر العديد من أسرته ، ما يدل على أن مهنة الطب كانت وراثية فى كثير من الأسر المصرية (مسلمين وأقباط ويهود) ، ومن هذه الأسرة اليهودية ، الطبيب إسحق بن موسى (ت ٣٦٣هـ / ٩٧٤م) وأخيه الطبيب إسماعيل بن موسى ، والحفيد يعقوب بن إسحق بن موسى ، كما كان لموسى ابن دخل الإسلام هو عون الله توفى قبل أخيه إسحق بيوم واحد ، بل إن جميعهم ماتوا فى حياة أبيهم موسى بن إلعازار (٥٢).

وبالرغم من أن الخليفة الحاكم بأمر الله كان قد أصدر عدة تعليمات بشأن أهل الذمة (الأقباط واليهود) – ومنها أنه ألزم اليهود والنصارى سنة ٣٩٥هـ / ١٠٠٤م بشد الزنار ولبس الغيار وجعل شعارهم " شعار الغاصبين العباسيين " – إلا أنه سرعان ما أصدر عفواً شاملاً – بعد أن كثرت الشائعات – وكتب سجلاً من ثلاث نسخ للمسلمين والنصارى واليهود بالأمان والعفو عنهم (٥٣)، على أن ذلك لم يمنع من وجود الأطباء من أهل الذمة فى قصره ، فقد تقدم ذكر عدد كبير من الأطباء الأقباط الذين خدموا فى بلاطه ، أما أطباؤه من اليهود ، فقد ورد فى شعبان سنة ٣٩٨هـ / ١٠٠٨م أنه " خلع علي صقر اليهودى وحمل على بغلة ، وقيد إليه ثلاث بغلات بسروج ولجم ثقال وحمل معه عشرون سفط ثياب ، وأنزل فى دار فرشت وزينت ، وعلق على أبوابها وحجرها الستور ، وأعطى فيها جميع ما يحتاج إليه ، وقيل له هذه دارك ؛ فحصل له فى ساعة واحدة ما قيمته عشرة آلاف دينار ، واستقر طبيب الحاكم عوضاً عن ابن نسطاس " واستمر طبيبًا خاصًا للخليفة الحاكم إلى أن توفى فى ربيع الآخر سنة

٤٠٠هـ / ديمسبر ١٠٠٩م (٥٤)، ولعل هذا التكريم الذى ناله صقر اليهودى الطبيب ما يؤكد أنه كان بارعًا فى مجال تخصصه ، وإن لم تذكر المصادر شيئًا عن إنتاجه العلمى .

وفى عصر الخليفة الحاكم بأمر الله اشتهر طبيب يهودى آخر باسم غريب هو " الحقير النافع " ولعل ذلك لأنه كان يقوم بمداواة الجراح ، وهو فى غاية الخمول ؛ وتصادف أن عرض للخليفة الحاكم عقد فى رجله ، أخفق ابن مقشر وغيره من أطباء الخاص فى علاجه ، فأحضروا له هذا الطبيب اليهودى ، فقام بعلاجه حتى شفى فى ثلاثة أيام ، فأنعم عليه الخليفة وأعطاه ألف دينار وخلع عليه لقبه بالحقير النافع ، كما جعله من أطباء الخاص (٥٥).

ومن أشهر الأطباء اليهود الذين عاشوا فى هذا العصر الطبيب أبو كثير افرائيم بن الحسن بن إسحق بن إبراهيم بن يعقوب ، خدم الخلفاء الذين عاصرهم ومنهم الآمر بأحكام الله ووزيره الأفضل شاهنشاه بن أمير الجيوش بدر الجمالى ، وقد تلقى هذا الطبيب علومه فى الطب على يد رئيس أطباء مصر أبو الحسن على بن رضوان ، حيث أصبح من أجل تلاميذه(٥٦)، وفى هذا ما يدل على مدى الترابط بين أفراد المجتمع المصرى بشتى طوائفه واختلاف مذاهبه ومعتقداته الدينية حيث التزموا جميعًا بتعاليم واحدة وثقافة مشتقة من مبادىء وروح الإسلام .

وتجدر الإشارة إلى أن افرائيم بن الحسن اليهودى ، كان يمتلك مكتبة ضخمة ، تضم آلاف الكتب ، فقد قدم أحد العراقيين إلى مصر ، ليشترى كتبًا وينقلها إلى بغداد ، واتفق مع افرائيم على شراء عشرة آلاف مجلد من مكتبته الخاصة ، غير أن الوزير الفاطمى الأفضل بن أمير الجيوش الذى كان مولعًا باقتناء الكتب وتكوين المكتبات ، علم بهذا الاتفاق ، فأرسل إلى افرائيم جملة من المال الذى اتفق على دفعه ثمنًا لهذه الكتب ؛ ونقلت الكتب من مكتبة افرائيم إلى مكتبة الأفضل (٥٧). وعلى الرغم من بيع هذا العدد الضخم من الكتب ، إلا أنه عثر فى مكتبته بعد وفاته على عدد أكبر منه ، قدر بنحو عشرين ألف مجلد (٥٨). أما عن تراثه العلمى فقد ترك افرائيم عدد من المؤلفات الطبية منها : كتاش(*) ضم تعاليق ومجربات ، كما استقصى فيه ذكر الأمراض ومداواتها . وكتاب : التذكرة الطبية فى مصلحة الأحوال البدنية " ألفه لنصير الدولة أبى على الحسين بن أبى على الحسن بن حمدان ، حينما خرج ثائرًا إلى الإسكندرية والبحيرة وغيرها من الأعمال(٥٩) وله أيضًا مقالة فى التقرير القياسى على أن البلغم يكثر تولده فى الصيف ، والدم والمرار الأصفر فى الشتاء (٦٠).

ومن الأطباء اليهود فى العصر الفاطمى ، أبو الخير سلامة بن رحمون بن موسى ، وهو من تلاميذ افرائيم الطبيب اليهودى ، ولذلك كان " له اطلاع على كتب جالينوس والبحث عن غوامضها " حيث إنه اتبع مدرسة أصولية فى علوم الطب كان يتزعمها ابن رضوان الذى كان ينادى بضرورة الرجوع إلى الأصول ومنها كتب أبقراط وجالينوس . وإلى جانب الطب كان لابن رحمون اهتمام بدراسة المنطق والعلوم الحكمية وله فيها مؤلفات عديدة ؛ وكان شيخه فى هذه العلوم الأمير أبو الوفاء محمود الدولة المبشر بن فاتك ؛ أما عن مؤلفات ابن رحمون الطبية والفلسفية فمنها : " كتاب نظام الموجودات " ، ومقالة فى السبب الموجب لقلة المطر بمصر ، ومقالة في خصب أبدان النساء بمصر عند تناهى الشباب (٦١).

وقد أعقب سلامة بن رحمون ولداً ، نبغ فى الطب أيضًا وصار من كبار الأطباء اليهود الذين اشتغلوا بالطب ، وصنفوا فيه ، هو مبارك الدولة بن رمون ، المصرى المولد والمنشأ ، ومن مؤلفاته : مقالة فى الجمرة المسماة بالشقفة والخزفة (٦٢).

أما فى عصر الخليفة الفاطمى الحافظ لدين الله ، فقد سبقت الإشارة إلى الطبيب أبو منصور اليهودى ، وما دار بينه وبين الخليفة والطبيب ابن قرقة النصرانى فى شأن حسن بن الحافظ ، وقد انتهت هذه الحادثة بقتل ابن قرقة ، وتعيين أبى منصور اليهودى رئيسًا لليهود ، ورئيسًا للأطباء في قصر الخلافة .

كما شهدت فترة خلافة الآمر بأحكام الله نبوغ بعض الأطباء اليهود ومنهم الشيخ أبو الفضائل النسطورى المعروف بطبيب الطائفة العظيمية فى الخلافة الآمرية (٦٣). وقد ذكره المقريزى باسم الشيخ أبو الفضل ، وقد أنعم عليه الخليفة ببدلة حريرى (٦٤).

وقد شهد العقد الأخير من الخلافة الفاطمية العديد من الأطباء اليهود الذين خدموا فى بلاط الخلفاء ، وعاصروا أوائل الدولة الأيوبية ، وخدموا السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب؛ ومنهم أبو البيان بن المدور ، اليهودي القراء ، الملقب بالسديد الذى كان عالمًا بالطب (ت ٥٨٠هـ / ١١٨٤م) ، خدم الخلفاء الفاطميين فى آخر دولتهم ، ثم دخل فى خدمة السلطان الناصر صلاح الدين الأيوبى وقد ظل يعمل بالطب حتى بعد أن تقدم به العمر وأصابه الضعف، فقرر له السلطان أربعة وعشرين ديناراً تصل إليه فى بيته ، واستمر على ذلك لمدة عشرين سنة، لا يبرح بيته بينما لم يتوقف عن ممارسة الطب ، كما ظل التلاميذ يترددون عليه

لدراسة الطب ، والمرضى يأتون إليه لتشخيص المرض وتوصيف الدواء ، غير أنه مع كبر سنه كان يخرج فى بعض الأحيان لتطبيب من يعز عليه جداً مثل القاضى الفاضل وابن سناء الملك وبعض الأمراء المقربين منه ، ومن كتبه " مجربات فى الطب " (٦٥).

ومنهم أيضًا الرئيس هبة الله الذى عاش فى آخر دولة الفاطميين وخدم من عاصرهم من الخلفاء بصناعة الطب ، فقرروا له الجامكية الوافرة والصلات المتوالية ، ولما انقرضت دولتهم عاش بعدهم فيما أنعموا عليه به إلى أن توفى سنة خمسمائة ونيف وثمانين من الهجرة (٦٦).

وهناك عدد من الأطباء اليهود الذين عاصروا الدولة الفاطمية ، ولكن المصادر لم تذكر أنهم دخلوا فى خدمة الخلفاء الفاطميين ، بينما تذكر أنهم دخلوا فى خدمة السلطان صلاح الدين الأيوبى ، ولعلهم لم يحظوا باهتمام الخلفاء الذين اعتمدوا أطباء غيرهم اختصوا بهم . وكان من بينهم الطبيب اليهودى ابن جميع وهو الشيخ الموفق شمس الرياسة أبو العشائر هبة الله بن زين بن حسن بن افرائيم ، من الأطباء المشهورين ، " وكان متقننًا فى العلوم جيد المعرفة بها ، كثير الاجتهاد فى صناعة الطب حسن المعالجة ، جيد التصنيف " : درس الطب على الشيخ الموفق أبى نصر عدنان بن العين زربى ولزمه مدة ؛ وقد ولد ابن جميع فى مدينة الفسطاط ونشأ بها ، وخدم السلطان صلاح الدين ، الذى اعتمد عليه فى صناعة الطب ، وركب له الدواء ؛ وكان لابن جمع مجلس يجتمع فيه المشتغلون بصناعة الطب ؛ وإلى جانب اهتماماته الطبية ، اهتم بدراسة اللغة العربية ، وألف الكثير من الكتب الطبية التى امتازت بأنها " جيدة التأليف ، كثيرة الفوائد، منتخبة العلاج " . ومنها : " كتاب الإرشاد لمصالح الأنفس والأجساد " وكتاب " التصريح بالمكنون فى تنقيح القانون " ، ورسالة فى " طبع الإسكندرية وحال هوائها ومياهها ونحو ذلك من أحوالها وأحوال أهلها " ، ومقالة فى الليمون وشرابه ومنافعه ، ومقالة فى الراوند ومنافعه ، ومقالة فى الحديد ، ومقالة فى علاج القولنج واسمها " الرسالة السيفية فى الأدوية الملوكية"(٦٧).

ومنهم أيضًا الموفق بن شوعة (٥٧٩هـ / ١١٨٣م) ، وهو من أفاضل العلماء والأطباء اليهود ، فقد اشتهر بسعة علمه فى الطب ، وتخصص فى طب العيون والجراحة ، وخدم الناصر صلاح الدين ، وبالإضافة إلى الطب اشتهر بأنه كان شاعراً يكتب الشعر ويعزف على القيثارة (٦٨).

أما المهذب أبو الفضائل بن الناقد ، فقد كان طبيبًا مشهورًا ، تخصص فى طب العيون أيضًا ، وكان تلامذته يلازمونه فى أكثر أوقاته ، ويقرؤون عليه حتى فى أوقات سيره لتفقد مرضاه ، إلى أن توفى سنة ٥٨٤هـ / ١١٨٨م ، وخلفه ابنه أبو الفرج الذى أسلم ، وكان مثل أبيه طبيبًا وكحالاً (٦٩).

ويلاحظ مما تقدم أن غالبية الأطباء (فى مصر) كانوا من أهل الذمة (أقباط ويهود) ، فقد كان احتراف اليهود والنصارى لصناعة الطب يكاد يكون حكرًا عليهم ، وهو ما لاحظه الرحالة والوافدون إليها ، فيقول أبو الصلت أمية بن عبد العزيز بن أبى الصلت الطبيب الأندلسى (ت ٥٢٨هـ / ٣٣ - ١١٣٤م) : " أكثر أطبائها المبرزين نصارى ويهود " (٧٠). أما الرحالة الأندلسى ابن سعيد الذى زار مصر سنة ٦٤٠هـ / ١٢٤٨م فى عهد السلطان الأيوبى الصالح نجم الدين أيوب (٦٣٨ - ٦٤٧هـ / ١٢٤١-١٢٤٩م) ، فقد رأى " أكثر ما يتعيش بها اليهود هى كتابة الخراج والطب " (٧١). وهو ذات الأمر الذى دفع أحدهم إلى القول :

أقول للمسلمين طرا　　تبغون فى طبنا اشتهارا
هيهات حاولتم محالا　　كونوا إذن يهودا أو نصارى(٧٢)

٤ - أطباء وافدون :

أ - من المشرق :

شهد العصر الفاطمى حضروا كبيراً لبعض الأطباء العرب المشارقة (من المسلمين وأهل الذمة) ، الذين توافدوا على مصر لأسباب مختلفة تعلقت فى مجملها بأهواء هؤلاء الأطباء ومآربهم ، فتباينت من طبيب إلى آخر ، فمنهم من جاء طلبًا للمال ، لما عرف عن بذخ الفاطميين وكرمهم وإحسانهم إلى من يقصدهم ولاسيما من أرباب العلم والفضل (٧٣). وربما حضر الطبيب إلى مصر بدعوة من أحد الخلفاء الفاطميين ، لعلمه وتفوقه فى مجال تخصصه ؛ غير أن السبب الرئيسى فى تقديرى إنما يرجع إلى رغبة هؤلاء الأطباء فى الاطلاع على الأصول ، والاستزادة من تعاليم الأولين ، خاصة وأن مصر على مر تاريخها القديم والوسيط شهدت نهضة وتطوراً فى مجال الطب لم تشهده حضارات أخرى ، وقد تقدم أن مصر فى عصورها الفرعونية كانت فى مقدمة الأمم فى هذا المجال ، فالطب المصرى القديم يعتبر أقدم طب عرفه التاريخ المكتوب ، ويقول المؤرخ (جابين Gaben) : " إن المصريين كانوا منجمًا اغترف منه الأقدمون بكل حرية وانطلاق دون أن يذكروا فضلاً لأصحابه الأصليين وأن العقاقير وأوصافها المذكورة فى أعمال ديسقوريدس وبلينى وغيرهما كان من الواضح جداً

أنها مأخوذة عن المصريين القدماء " (٧٤). ولما كان علماء مصر وأطباؤها هم ورثة هذا التراث، والأكثر معرفة بمصادره ومعابره التي تمثلت فى الأطباء اليونانيين ، فقد حرص الأطباء من المشرق والمغرب على الالتقاء بهم والأخذ عنهم ، أو تبادل المعرفة بعلوم الطب بينهم ، حتى أن طبيباً كبيراً مثل المختار بن الحسن بن بطلان جاء إلى مصر خصيصاً للقاء رئيس أطبائها أبو الحسن على بن رضوان استجابة لما أملته عليه المنافسة (٧٥).

ومن الأطباء الذين جاءوا إلى مصر من المشرق الإسلامى فى العصر الفاطمى ، يبرز الطبيب أبو عبد الله محمد بن سعيد التميمى ، كان مقامه أولا بمدينة القدس ونواحيها ، تميز فى صناعة الطب والاطلاع على دقائقها ، وله خبرة في تركيب المعاجين والأدوية المفردة ، واستقصى معرفة أدوية الترياق الكبير وتركيبه : وكان جده طبيباً أيضاً ، أى أنه ورث عنه صناعة الطب ، غير أنه كان حريصاً على تحصيل علومه من أكثر من مصدر ، حيث تلقى أول علومه فى موطنه الأصلى بيت المقدس ، وتنقل بين مدن الشام لمواصلة دراسته ، وفى مدينة الرملة دخل فى خدمة الحسن بن عبيد الله بن طغج الإخشيدى الذى كان مغرماً به ، وبما يعالجه به من الأدوية المركبة ، ثم انتقل التميمى إلى مصر وصحب الوزير يعقوب بن كلس وزير المعز والعزيز ، وصنف له كتاباً كبيراً فى عدة مجلدات سماه : " مادة البقاء بإصلاح فساد الهواء ، والتحرز من ضرر الأوباء وكل ذلك بالقاهرة المعزية " (٧٦).

وفى القاهرة أيضاً التقى التميمى بأطباء مصر ، ودارت بينه وبينهم مناظرات علمية ، كما التقى بالأطباء المغاربة الذين قدموا إلى مصر فى صحبة المعز لدين الله الفاطمى ، أما عن إنتاجه الفكرى والعلمى فيتمثل فى : " رسالة إلى ابنه على بن محمد فى صنعة الترياق الفاروق والتنبيه على ما فيه من أدوية ، ونعت أشجاره الصحيحة وأوقات جمعها ، وكيفية عجنه، وذكر منافعه وتجربته " . وكتاب آخر فى الترياق ، " استوعب فيه تكميل أدويته وتحرير منافعه " . وكتاب مختصر في الترياق ، ومقالة فى ماهية الرمد وأنواعه وأسبابه ، وعلاجه . و "كتاب الفحص والأخبار " (٧٧). ويذكر ابن العبرى أنه كان بمصر فى حدود سنة ٣٧٠هـ / ٩٨٠م ، وأنه " أحكم ما علمه من علم الطب غاية الإحكام ، وكان منصفاً فى مذكراته ، غير راد على أحد إلا بطريق الحقيقة " (٧٨).

ومن الأطباء المشارقة أيضاً الطبيب عمار بن على الموصلى (ت ٤١١هـ / ١٠٢٠م) ، الذى اشتهر بطب العيون ، فقد " كان كحالاً مشهوراً ، معالجاً مذكوراً ، له خبرة بمداواة أمراض العيون " ، ويتضح من اسمه أنه عراقى ، ولد فى مدينة الموصل ، وقد سافر إلى مصر وأقام

بها ، حيث لم يشتهر في العراق مثلما اشتهر في مصر ، وخاصة في عصر الخليفة الحاكم بأمر الله ، حينما دخل في خدمته ، وألف له كتاب : " المنتخب في علم العين وعللها ومداواتها بالأدوية والحديد " (٧٨).

ومن الملاحظ أن الفترة التي سبقت وصول عمار إلى مصر ، شهدت نبوغ طبيب مصري متميز في طب العيون ، وهو الطبيب أعين بن أعين ، الذي عاش في خلافة العزيز بالله وتوفي سنة (٣٨٥هـ / ٩٩٥م) ؛ ومن مؤلفاته : كتاب في أمراض العين ومداواتها (٨٠). ولعل مجيء عمار بن علي إلى مصر قد ترتب على سماعه عن هذا الطبيب ، ومن المرجح أنه اطلع على كتابه في أمراض العيون وهو ما يفسر التشابه الكبير بين الكتابين .

ومن كبار مشاهير هذا العصر أبو علي محمد بن الحسن بن الهيثم المهندس البصري ، صاحب التصانيف في علم الهندسة : الذي ذاع صيته في بغداد ، وسمع به الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله ، وكان يميل إلى الحكمة ، فتاقت نفسه إلى رؤيته ، خاصة وقد نقل عنه أنه قال : " لو كنت بمصر لعملت في نيلها عملاً يحصل به النفع في كل حالاته من زيادة ونقص..." (٨١).

وقد كان ابن الهيثم إلى جانب نبوغه في علوم الرياضيات والهندسة ، خبيراً بأصول صناعة الطب وقوانينه وأموره الكلية ، وبالرغم من ذلك لم يباشر أعماله ، ولم تكن له دراية بالمداواة (٨٢). أما عن مؤلفاته في مجال الطب فهي قليلة جداً بالمقارنة بمؤلفاته في العلوم الرياضية والهندسية والطبيعة ، بالإضافة إلى علم المنطق والفلسفة والآداب : ففي مجال الطب لخص كثيراً من كتب جالينوس ، فكان أهم مؤلفاته الطبية ، كتاب في تقويم الصناعة الطبية ، قال عنه : " نظمته من جمل وجوامع ما نظرت فيه من كتب جالينوس وهو ثلاثون كتاباً : كتابه في البرهان ، كتابه في فرق الطب ، كتابه في الصناعة الصغيرة ، كتابه في التشريح ، كتابه في القوي الطبيعية ، كتابه في منافع الأعضاء ، كتابه في آراء أبقراط وأفلاطون ، كتابه في المني ، كتابه في الصوت ، كتابه في العلل والأعراض ، كتابه في أصناف الحميات ، كتابه في البحران ، كتابه في النبض الكبير ، كتابه في الاسطقسات على رأي أبقراط ، كتابه في المزاج، كتابه في قوى الأدوية المفردة ، كتابه في قوى الأدوية المركبة ، كتابه في مواضع الأعضاء الآلية ، كتابه في حيلة البرء ، كتابه في حفظ الصحة ، كتابه في جودة الكيموس ورداءته ، كلامه في أمراض العين ، كتابه في أن قوى النفس تابعة لمزاج البدن ، كتابه في

سوء المزاج المختلف ، كتابه فى أيام البحران ، كتابه فى الكثرة ، كتابه فى استعمال الفصد لشفاء الأمراض ، كتابه فى النبول ، كتابه فى أفضل هيئات البدن ، جمع حنين بن اسحق من كلام جالينوس وكلام أبقراط فى الأغنية ، ثم شفعت جميع ما صنعته من علوم الأوائل برسالة بينت فيها أن جميع الأمور النبوية والدينية هى نتائج العلوم الفلسفية . وكانت هذه الرسالة المتممة لعدد أقوالى فى هذه العلوم بالقول السبعين ، وذلك سوى رسائل ومصنفات عدة حصلت فى أيدى جماعة من الناس بالبصرة والأهواز وضاعت دساتيرها ، وقطع الشغل بأمور الدنيا وعوارض الأسفار عن نسخها ، وكثيراً ما يعرض ذلك للعلماء . فقد سبق مثله لجالينوس حتى ذكر فى بعض كتبه ، فقال : وقد صنفت كتباً كثيرة دفعت دساتيرها إلى جماعة من إخوانى ، وقطعنى الشغل والسفر عن نسخها حتى خرجت إلى الناس من جهتهم " (٨٣).

ولما كان ابن الهيثم مهتمًا بعلم الطبيعة والبصريات ، فقد دفعه ذلك إلى دراسة العين دراسة تشريحية علمية ، ووضع الأسماء لأربعة أجزاء منها هى (القرنية والقزحية والسائل الزجاجى والسائل المائى) ، وعلل الرؤية بورود الصورة إلى كل عين على حدة ثم التحامهما فى المركز البصرى فى موضع متماثل تماماً حيث تنطبق الصورتان على بعضهما وتظهران فى شكل صورة واحدة (٨٤).

أما أشهر الأطباء المشارقة الذين حضروا إلى مصر فى هذا العصر وترك بها آثاراً علمية واضحة فهو الطبيب البغدادى أبو الحسن المختار بن الحسن بن عبدون بن سعدون بن بطلان النصرانى ، المعاصر لرئيس أطباء مصر أبو الحسن على بن رضوان ، وقد دارت بينهما "المراسلات العجيبة والكتب البديعة الغريبة ، ولم يكن أحد منهم يؤلف كتاباً ولا يبتدع رأياً إلا ويرد الآخر عليه ، ويسفه رأيه فيه " (٨٥).

وكان ابن بطلان قد سمع أثناء رحلته من بغداد إلى مصر عن الطبيب المصرى على بن رضوان ، فقرر الالتقاء به ، والتعرف عليه ، " فتمت بينهما صداقة سرعان ما تحولت إلى مناظرة ومشاجرة زادت نيرانها المغالبة فى المجادلات فافترقا " (٨٦).

دخل ابن بطلان مدينة الفسطاط فى مستهل جمادى الآخرة سنة ٤٤١هـ / أول ديسمبر ١٠٤٩م وأقام بها ثلاث سنوات ، وذلك فى خلافة المستنصر بالله الفاطمى(٨٧) على حد قول ابن أبى أصيبعة ، الذى عاد ليقول : " ونقلت من خط المختار بن الحسن بن بطلان أن الغلاء عرض بمصر سنة خمس وأربعين وأربعمائة ، قال : ونقص النيل في السنة التى تليها ، وتزايد الغلاء وتبعه وباء عظيم ، واشتد وعظم فى سنة سبع وأربعين وأربعمائة .. " (٨٨). ويتضح من

هذه الرواية أن ابن بطلان أقام بمصر أكثر من ست سنوات : وقد اختلفت المصادر أيضاً فى تحديد تاريخ وفاة ابن بطلان ، فقد ذكر كل من القفطى وابن العبرى أنه توفى سنة ٤٤٤هـ / ١٠٥٣م (٨٩)، بينما يذكر ابن أبى أصيبعة أن ابن بطلان انتهى من تأليف إحدى مقالاته فى إنطاكية سنة ٤٥٥هـ / ١٠٦٣م (٩٠). أى أنه توفى بعد هذا التاريخ : وهو ما يتفق مع الرأى القائل إنه عاش بعد سنة ٤٤٤هـ أكثر من عشر سنوات (٩١).

أما عن آثاره العلمية فى مجال الطب ، فهى عديدة ومتنوعة ، وتدل على أنه عالم بالمنطق والحكمة والطب ومنها : " كناش الأديرة والرهبان " ذكر فيه الأمراض العارضة لرهبان الأديرة، وكتاب " تقويم الصحة فى قوى الأغذية ودفع مضارها " ، ومقالة إلى على بن رضوان كتبها عند وروده الفسطاط سنة ٤٤١هـ جواباً عما كتبه إليه ، ونقلها كل من القفطى وابن العبري ، وقام بنشرها يوسف شاخت وماكس مايرهوف ، ضمن خمس رسائل لابن بطلان ، مطبوعات كلية الآداب بالجامعة المصرية سنة ١٩٣٧م (٩٢)، ومقالة فى " علة الأطباء المهرة تدبير أكثر الأمراض التى كانت تعالج قديماً بالأدوية الحارة إلى التدبير المبرد ، كالفالج واللقوة والاسترخاء وغيرها ، ومخالفتهم فى ذلك لمسطور القدماء فى الكنانيش والأقربازينات وتدرجهم فى ذلك بالعراق وما والاها على استقبال سنة ٢٧٧هـ إلى سنة ٤٥٥هـ " صنفها بإنطاكية ، ومقالة فى " الاعتراض على من قال إن الفرخ أحر من الفروج بطريق منطقية " ألفها بالقاهرة سنة ٤٤١هـ . وقد نشر أيضاً ضمن مجموع (خمس رسائل) ، وكتاب " دعوة الأطباء " ألفه على غرار (كليلة ودمنة) وأهداه للأمير نصر الدولة أبى نصر أحمد بن مروان صاحب ميافارقين وديار بكر المتوفى سنة ٤٥٣هـ ، وقد نشر هذا الكتاب الدكتور بشارة زلزل بالمطبعة الخديوية بالإسكندرية سنة ١٩٠١م عن نسخة بمكتبته وقد تصرف فيها بعض التصرف بحذف " عبارات لا يألفها نوق الأدباء من أبناء هذا العصر " كما ذكر فى مقدمته ؛ كما نشر فى بيروت وترجم للفرنسية ، وهو كتاب هام فى تاريخ الطب والصيدلة (٩٣). قال عنه ابن أبى أصيبعة : " ونقلت من خط ابن بطلان، وهو يقول فى آخرها : فرغت من نسخها أنا مصنفها يوانيس الطبيب المعروف بالمختار بن الحسن بن عبدون بدير الملك المتنيح قسطنطين بظاهر القسطنطينية فى أواخر أيلول سنة ١٣٦٥م ، هذا قوله ويكون ذلك بالتاريخ الإسلامى من سنة ٤٥٠هـ " ، ومن مؤلفاته أيضاً كتاب " وقعة الأطباء " ، وكتاب " دعوة القسوس " ، ومقالة فى " مداواة صبى عرضت له حضاة " (٩٤).

ومن بين الأطباء المسيحيين الذين زاروا مصر ، وأقاموا بها ذكر أبو الصلت طبيباً من أهل إنطاكية ، أدركه عند دخوله مصر سنة ٥١٠هـ / ١١١٧م يسمى جرجس ، ويلقب بالفيلسوف ، جاء إلى مصر ، ومارس مهنة الطب بها ، وكانت بينه وبين ابن رحمون اليهودى خصومة ، فعمل على النيل منه والحط من قدره ، وهجاه شعراً بقوله :

إن أبا الخـيـر على جـهله يخف فى كـفـيـه الفـاضل
عليله المسكين من شـؤمـه فى بحـر هُلك مـاله سـاحل
ثـلاثة تـدخل فى دفـعـه طلعـته والنعش والغـاسل (٩٥)

ومن أشهر الأطباء المسلمين الذين زاروا مصر ، ودخلوا فى خدمة خلفائها الفاطميين ، الشيخ موفق الدين أبو نصر عدنان بن منصور المعروف بابن العين زربى ، من أهل مدينة عين زربة ، مروراً بغداد التى شهدت نبوغه فى صناعة الطب والعلوم الحكمية ، واشتهر على وجه الخصوص بعلم التنجيم ، وفى مصر حظى برعاية الخلفاء الفاطميين ، وتميز في دولتهم ، فصار من أجل المشايخ ، وأكثرهم علماً فى صناعة الطب والمنطق وغير ذلك من العلوم ؛ وتتلمذ على يديه العديد من الطلاب ، الذين تميزا جميعاً وبرعوا فى صناعة الطب (٩٦).

ومن المرجح أن دخول ابن العين زَرْبى مصر كان فى خلافة الآمر ، ولكنه استمر بعده وحظى برعاية الخليفة الظافر إلى أن توفى سنة ٥٤٨هـ / ١١٥٣م أى قبل وفاة الخليفة الظافر بيوم واحد (٩٧).

أما عن تراثه العلمى فقد امتاز بكثرته وتنوعه ، حيث صنف بمصر كتبًا عديدة فى مجال الطب (٩٨). ومنها كتاب " الكافى فى الطب " بدأ فى تأليفه بمصر سنة ٥١٠هـ / ١١١٧م ، وأتمه فى ذى القعدة سنة ٥٤٧هـ / ١١٥٢م . ومنها أيضًا : " شرح كتاب الصناعة الصغير لجالينوس " و " مجربات فى الطب " ألفه علي جهة الكناش ، وقام بجمعه وترتيبه ظافر بن تميم بعد وفاة ابن العين زَرْبى ، وله أيضًا " رسالة فى تعذر وجود الطبيب الفاضل ونفاق الجاهل " ومقالة فى " الحصى وعلاجه " (٩٩). وهناك مقالة أخرى عثر عليها الدكتور سامى حمارنه فى المكتبة الظهرية بدمشق سنة ١٩٦٤م بعنوان " مرض الشقة " وهى تدل على أن ابن العين زربى كان خبيراً بالأمراض الجلدية وعلاجها (١٠٠).

ومن الأطباء الذين جاءوا إلى مصر من بلاد الشام ، الطبيب العربى المهذب بن النقاش البغدادى المولد ، " وكان فاضلاً فى صناعة الطب " وجاءت زيارته إلى مصر بهدف الحصول

على المال ، بعد أن أقام مدة فى دمشق ولم يحصل له بها ما يقوم بكفايته ، وقد سمع عن كرم الخلفاء الفاطميين وإنعامهم وإحسانهم إلى من يقصدهم من أرباب العلم والفضل ، وما أن وصل إلى مصر حتى التقى الشيخ أبو منصور عبد الله بن الشيخ السديد رئيس أطباء مصر ، فتلقاه بما يليق بشخص مثله وأكرمه غاية الإكرام ، وقرر له راتبًا شهريًا خمسة عشر دينارًا مصريًا ، وخصص له قاعة قريبة منه لسكناه ، وأعطاه جارية حسناء وخلعة فاخرة ألبسه إياها، كما أعطاه بغلة من أجود دوابه بالإضافة إلى جميع ما يحتاج إليه من الكتب وغيرها . فأقام بالقاهرة على هذا الحال ، إلى أن رجع إلى الشام ، واستقر بدمشق إلى حين وفاته(١٠١).

ب – من المغرب ولأندلس :

تزايد عدد الأطباء الوافدين إلى مصر من المغاربة والأندلسيين ، مع دخول الفاطميين مصر وتأسيس دولتهم بها ، ومن الأسباب التى دفعت هؤلاء الأطباء للحضور إلى مصر ، إضافة إلي ذات الأسباب التى أدت إلى حضور الأطباء المشارقة ، إما طلبًا للعلم أو المال أو الجاه ، أو رغبة فى أداء فريضة الحج ، حيث يمكثون بمصر أثناء مرورهم بها : كما كان منهم من صحب الخليفة المعز لدين الله الفاطمى عند قدومه إلى مصر ، فتذكر المصادر أنه اصطحب معه عددًا من أطباء الخاص الذين كانوا يعملون فى بلاطه بالمغرب ، وأنهم صاروا محورًا لنشاط علمى مع الأطباء المصريين الموجودين آنذاك ، أو النازحين إليها من بلاد الشام (١٠٢).

وتجدر الإشارة هنا إلى أن عددًا من هؤلاء الأطباء استوطنوا مصر ، بعد أن طالت إقامتهم بها ، حتي صار الواحد منهم يعرف بالمصرى ، ومنهم أعين بن أعين المصرى (ت ٣٨٥هـ / ٩٩٥م) الذى خدم الخليفة المعز فى القيروان وانتقل معه إلى مصر ، وتخصص فى طب العيون (الكحالة) (١٠٣). كذلك أبو محمد عبد الله بن خليفة القرطبى (ت ٤٩٦هـ / ٢– ١١٠٣م) الذى استغل وجوده فى مصر لتعلم الطب ، وقد طالت إقامته بها حتي صار يعرف بالمصرى ؛ وتحقق له ما أراد ، وعند عودته للأندلس اشتهر وشاع ذكره عند ملوك الطوائف(١٠٤).

أما أشهر الأطباء الأندلسيين الذين رحلوا إلى الشرق ومروا بمصر وأقاموا بها فترة الطبيب أبو مروان عبد الملك بن محمد بن زُهر الأيادى الإشبيلى (ت ٤٧١هـ / ١٠٧٨م) ، دخل القيروان ومصر وتطبب هناك زمنًا طويلاً ، ثم انتقل إلى بغداد وتولى رئاسة الطب بها ،

ثم بمصر ، ثم بالقيروان ، ثم عاد إلى الأندلس واستوطن مدينة دانية ، فاشتهر فى أقطار المغرب والأندلس بالتقدم فى علم الطب حتى بز أهل زمانه ، إلى أن توفى فى إشبيلية (١٠٥). وخلف أبا مروان أبناء وأحفاد نبغوا فى مجال الطب ، حتى أن أسرة " بنى زهر " تربعت على عرش الطب فى الأندلس ، ويهمنا من هذه الأسرة الابن أبى العلاء زُهر بن عبد الملك بن زهر (ت ٥٢٦هـ / ١١٣١م) الذى أخذ الطب عن أبيه ، وكان دقيقًا فى تشخيص الأمراض ، ومن أهم مؤلفاته كتاب " الإيضاح بشواهد الافتضاح فى الرد على ابن رضوان فيما رده على حنين بن اسحق فى كتاب المدخل إلى الطب " ، وقد ذكر ابن أبى أصيبعة أن أحد شيوخه يدعى أبو العيناء المصرى (١٠٦)، ومن الواضح أن التواصل العلمى فى مجال الطب بين علماء مصر والمغرب والأندلس كان فى نشاط دائم .

ومن مشاهير الأطباء الأندلسيين الذين جاءوا إلى مصر الطبيب يوسف بن أحمد بن حسداى اليهودى (ت بعد ٥٢٢هـ / ١١٢٨م) وهو أحد الفضلاء فى صناعة الطب ، كانت له عناية بالغة بالاطلاع على كتب أبقراط وجالينوس ، جاء إلى مصر قادمًا من الأندلس سنة ٥١٦هـ / ١١٢٢م بدعوة من الخليفة الآمر بأحكام الله ، واعتنق الإسلام ، وأقام فى مصر تحوطه مظاهر التكريم ، حيث قرر له الآمر راتب جار وكسوة شتوية وعيدية ورسوم ، وخصصت له دار بالقاهرة للإقامة فيها ، وكتب له منشور أورده المقريزى ، يتضمن مظاهر عديدة للحفاوة والتكريم لهذا الطبيب ، أهمها اعتماده رئيسًا للأطباء فى مصر ، كما رسم له السياسة العامة للنهوض بصناعة الطب فى مصر ، وذلك فى ذى القعدة سنة ٥١٦هـ / يناير ١١٢٣م (١٠٧).

وتعددت نشاطات ابن حسداى فى مصر ، فكان يلتقى بطلاب علم الطب ، ويقوم بالتدريس لهم ، كما كان يلتقى بأطباء القاهرة والفسطاط ، ولعل ذلك كان بغرض المناظرات العلمية ، وخصص يومين من كل أسبوع للتأليف العلمى ، واستخدم كاتبين لتبييض ما يؤلفه . وكانت هذه المؤلفات توضع فى خزائن الكتب بالقصر ودار العلم ، على شكل مراجع علمية (١٠٨).

وقد قام ابن حسداى بشرح بعض كتب أبقراط ، ومن مؤلفاته : " الشرح المأمونى لكتاب الإيمان لأبقراط المعروف بعهدة الأطباء " صنفه للمأمون أبى عبد الله محمد الآمرى ، " وقد أجاد فى شرحه لهذا الكتاب ، واستقصى ذكر معانيه وتبيينها على أتم ما يكون ، وأحسنه". وله أيضًا " شرح المقالة الأولى من كتاب الفصول لأبقراط " . وتعاليق وجدت بخطه كتبها عند

قدومه إلى الإسكندرية من الأندلس ، وفوائد مستخرجة ، واستخرجها وهذبها من شرح على بن رضوان لكتاب جالينوس إلى اغلوقن ، من القول على أول الصناعة الصغيرة لجالينوس(١٠٩).

واستمرارًا لتوافد الأطباء الأندلسيين على مصر ، جاء فى سنة ٤٨٩هـ / ١٠٩٦م الطبيب أبو الصلت أمية بن أبى الصلت الدانى ثم الإشبيلى (ت ٥٢٨هـ / ١١٣٤م) فى أيام الخليفة المستنصر بالله ، ووزارة الأفضل بن أمير الجيوش بدر الجمالى : طلبًا لبسطة العيش وثراء من المال(١١٠) من جهة ، ورغبة فى الاطلاع على تراث الأقدمين من علماء الطب ، كما عبر عن ذلك بقوله : " كنت فى أول جلوسى بها شديد العناية بكتب جالينوس وأبقراط ، باحثًا عن مشكلها ، فاحصًا عن مستغلقها ، فحرصت كل الحرص ، وجهدت كل الجهد على أن أجد من أهل هذه الصناعة من استفيد منه وأستزيد بمذكراته ، وأقدح خاطرى بمفاوضته " (١١١).

على أن ابن أبى أصيبعة(١١٢) يذكر أن دخوله مصر كان فى سنة ٥١٠هـ / ١١١٧م ، ثم عاد ليذكر أنه ألف " الرسالة المصرية " التى ذكر فيها ما رآه بمصر من هيئتها وآثارها ، ومن اجتمع بهم فيها من الأطباء والمنجمين والشعراء ، وغيرهم من أهل الأدب ، للأمير أبى طاهر بن باديس المتوفى سنة ٥٠٩هـ / ١١١٦م وهذا ما جعل البعض يرى أنه زار مصر مرتين(١١٣). غير أن هناك ما يبعث على الشك فى هذه الرواية حيث ذكر ابن أبى الصلت(١١٤) أنه التقى فى مصر بالطبيب جرجس الأنطاكى ، وقد ذكر ابن العبرى(١١٥) أن هذا اللقاء تم سنة ٥١٠هـ مما يؤكد أن الرسالة كتبت بعد وفاة الأمير ابن باديس . أى فى زيارته الثانية لمصر التى بدأت سنة ٥١٠هـ ولم تكتب لابن باديس .

تعرض ابن أبى الصلت فى رحلته الثانية لحادثة عجيبة ؛ فقد طلب منه الوزير الأفضل أن يعمل الحيلة فى رفع مركب غارق فى بحر الإسكندرية ، وسخر له كافة الإمكانات اللازمة ، فعمل كل حيلته ، واجتهد قدر طاقته ، غير أنه لم يوفق وهبط المركب ثانية إلى قاع البحر ، بعد أن كبد خزانة الدولة نفقات باهظة ، مما دفع الأفضل إلى سجنه (١١٦).

أما عن حياته العلمية فى مصر ، فقد عمد ابن أبى الصلت إلى لقاء الأطباء والعلماء والأدباء بها ، فغلبت عليه روح النقد خاصة للأطباء المصريين ، ولعل ما دفعه إلى ذلك إحساسه بالتفوق فى هذا المجال ، فجاء نقده لاذعًا لمن وجده من الأطباء وصار يردد فيهم مقوله القائل:

مـــا خطر النبض على باله يومًـــا ، ولا يعـــرف مـــا الماء
بـــل ظـــن أن الطـــب دُرّاعة ولحـية كـالقطن بيـضـاء(١١٧)

غير أن ذلك لم يمنعه من إبداء إعجابه ، بطريقة العلاج التى كانت متبعة فى المارستان لعلاج المرضى وخاصة الحالات النفسية ، حيث كان يستدعى رجل ، فيدخل على المريض ، يحكى له حكايات مضحكة ، وخرافات مسلية ، ويعرض عليه صوراً لوجه مضحكة ، فينشرح صدر المريض وتعود إليه قوته ؛ فقد رأى ابن أبى الصلت فى ذلك تنشيط للنفس وتقوية للقوى الطبيعية والبدن على دفع الأخلاط المؤذية ؛ وتمنى أن تتبع هذه الوسيلة فى علاج الأمراض العضوية مع الاستظهار بحفظ الأصول (١١٨).

وقد صنف ابن أبى الصلت العديد من المؤلفات الطبية إلى جانب مؤلفاته فى مجالات أخرى، ومن أهم مؤلفاته الطبية ، كتاب " الأدوية المفردة على ترتيب الأعضاء المتشابهة الأجزاء والآلية " وهو مختصر رتبه أحسن ترتيب ، وكتاب " الانتصار لحنين بن اسحق على ابن رضوان فى تتبعه لمسائل حنين " (١١٩).

سياسة الخلفاء الفاطميين نحو الأطباء :

لاشك أن وجود هذا العدد الكبير من الأطباء المصريين وغير المصريين فى العصر الفاطمى، يبرهن على أنهم وجدوا فى مصر راحة للإبداع فى مجال تخصصاتهم ، فمنهم من تتلمذ على أيدى علمائها وكبار أطبائها ، ومنهم من وجد فى خزائن كتبها فرصة للاطلاع على الأصول التى صنفها الأوائل من قدماء المصريين والإغريق وغيرهم ، ومنهم من مارس صناعة الطب للارتزاق وكسب المال أو بحثًا عن الرياسة والجاه بين أطباء عصره ، ولاشك أن ذلك كله تم فى ظل خلفاء حرصوا كل الحرص على الاهتمام بالطب والأطباء ؛ ولعل ما يدعم هذا الرأى أن الخليفة المعز لدين الله الفاطمى كان شديد الاهتمام بأن يكون فى قصره فريق من الأطباء ، عرف باسم " أطباء الخاص " وذلك منذ أن كان مقيمًا بالمغرب ، وقد اصطحب معه عددًا من هؤلاء الأطباء عند تحوله إلى مصر - كما تقدم - وقد صار خلفاؤه على هذا النهج ، وحافظوا على أطباء الخاص فى بلاطهم ، فكان هناك طبيب يعرف بطبيب الخاص ، يجلس على الدكة التى بالقاعة المعروفة بقاعة الذهب بالقصر ومعه أربعة أو ثلاثة أطباء أقل منه مرتبة لمعالجة المرضى من أقارب الخليفة وخواصه ، ويكتبون لهم تذكرة بما يلزمهم من أدوية الصيدلية الملحقة بقصر الخلافة (١٢٠).

وكان لهؤلاء الأطباء المنزلة السامية ، والمكانة المرموقة في قصور الخلفاء ، وفى قصور وزرائهم والمسؤلين على السلطة ، ويلقون من مظاهر الاحترام والتكريم قدراً كبيراً ، بجانب ما كانوا يتقاضونه من مرتبات عالية مجزية ، فضلاً عن الهبات والصلات المتوافرة ، والدور الفخمة (١٢١).

ولم تختلف معاملة الأطباء الذميين عن نظرائهم المسلمين ، بل إن الفاطميين الذين اشتهروا بحسن معاملتهم لأهل الذمة والتسامح معهم ، اعتنوا عناية فائقة بالأطباء من أهل الذمة ، حتى أن أطباءهم من اليهود كانوا أكثر من أطبائهم المسلمين والأقباط ، وذلك منذ عهد الخليفة الأول فى مصر المعز لدين الله ، الذى حرص على الاهتمام بطبيبه اليهودى موسى بن إلعازار وأبنائه ، فلما توفى اسحق بن موسى سنة ٣٦٣هـ حزن عليه المعز حزنًا شديداً ، وذلك لما كان يتمتع به من منزلة ومكانة عنده ، بالإضافة إلى كفاءته فى تخصصه ، ثم جعل أخاه إسماعيل بن موسى فى موضعه رئيساً لأطباء الخاص (١٢٢).

وقد احتفظت المصادر العربية بالعديد من الأمثلة ، التى تدل اهتمام سائر الخلفاء الفاطميين بالأطباء ، وإكرامهم وتقديرهم المادى والمعنوى ، حتى أن الخليفة العزيز بالله ، كان يبالغ كثيراً فى حسن معاملة أطباء الخاص ، ومنهم الطبيب منصور بن مقشر ، أحد الأطباء الذميين ، وقد أصابه مرض وأراد العزيز أن يقوم بزيارته ؛ إلا أنه تأخر عنه ، ولما تماثل للشفاء ، كتب له العزيز رسالة شهيرة سنة ٣٨٥هـ / ٩٩٥م ، جاء نصها كالتالى : " بسم الله الرحمن الرحيم . طبيبنا سلمه الله . وأتم النعمة عليه ، وصلت إلينا البشارة بما وهبه الله من عافية الطبيب وبرئه ، والله العظيم لقد عدل عندنا ما رزقناه نحن من الصحة فى جسمنا ، قسم الله عليك النعمة ، وكمل لنا صحتك وعجل بها ، ولا أشمت بنا فيك عدواً ولا حاسداً ، ورد كيد من يريد الكيد فى نحره ، وابتلاه بما لا طاقة له بعد الكفاية فيك ، أقالك الله العثرة ، ورجوعك إلى أفضل ما عودتك من صحة الجسم وطيبة النفس ، وخفض العيش بحوله وقوته ، والسلام عليك وصلى الله على خيرته من خلقه محمد النبى وآله وسلم تسليماً " (١٢٣).

وإذا كانت هذه الرسالة تدل على ما كان يتمتع به بن مقشر من مكانة لدى الخليفة العزيز إلا أن ما قام به هذا الخليفة مع الأطباء الآخرين يؤكد أن هذه سياسة عامة اتخذها مع سائر الأطباء ، ومنهم الحسن بن سهلان بن عثمان بن كيسان ، الذى " ارتفع جاهه فى أيام العزيز، ولم يزل مرتفع الذكر ، محروس الجانب مقتنيًا للمال الجزيل إلى أن توفي سنة ٣٨٠هـ " ؛ ولم يتعرض الخليفة العزيز لتركته بعد وفاته ، ولم يترك أحداً " يمد يده إليها على كثرتها"(١٢٤).

واستمراراً لهذه السياسة كان الخليفة الحاكم بأمر الله يحسن إلى أطباء الخاص ويجزل لهم العطاء ، فبعد وفاة الخليفة العزيز دخل ابن مقشر فى خدمة الخليفة الحاكم ، فزصبح طبيبه والحظى عنده ، وقد أعقب منصور بن مقشر ولدا عرف أيضًا بابن مقشر الطبيب ، وصار مثل أبيه من أطباء الخاص ، بعد أن دخل فى خدمة الخليفة الحاكم ، وأصبح " مكينًا فى الدولة حظيًا عند الحاكم ... وبلغ معه أعلى المنازل وأسناها وكان له منه الصلات الكثيرة والعطايا العظيمة " ، ولما مرض عاده الحاكم بنفسه ، وعند وفاته أطلق لأهله وأبنائه مالاً وافرًا (١٢٥).

ومن الأطباء الذين حظوا برعاية الخليفة الحاكم الطبيب أبو يعقوب اسحق بن إبراهيم بن نسطاس النصراني فقد خلع عليه سنة ٣٩٤هـ ، وحمله على بغلتين ، وأعطاه ثيابًا كثيرة وخصص له دارًا بالقاهرة ، فرشت بأحسن الأثاث ؛ حتى أثرى وترك زيادة على عشرين ألف دينارًا عينًا ، سوى الثياب وغيرها (١٢٦).

وقد كان بن نسطاس يتمتع بعلاقة حسنة مع كبار رجال الدولة ، فكان يحضر مجالسهم ، ويزورهم فى قصورهم ، ويأكل على موائدهم ، ويبادمهم ، وعند وفاته حزن عليه الخليفة الحاكم حزنًا شديداً ، وشق عليه خبر وفاته (١٢٧).

ولم تكن هذه السياسة من قبل الخليفة الحاكم مقتصرة على الأطباء الذميين ، فقد كانت سياسة عامة شملت جميع .لأطباء بشتى طوائفهم ، فعمت الأطباء المسلمين أيضًا ومنهم الشيخ السديد الأب الذى عمل فى خدمة عدد من الخلفاء من بينهم الحاكم وآخرهم الآمر بأحكام الله ، وقد أصبح هذا الطبيب " مكينًا عنده رفيع المنزلة فى أيامه " (١٢٨)، أما على ابن رضوان فقد جعله الخليفة الحاكم رئيسًا على سائر الأطباء (١٢٩). ونتيجة لهذه السياسة الإيجابية من جانب الخليفة الحاكم تجاه الأطباء نجد أحدهم وهو الطبيب عمار بن على الموصلى يؤلف له كتابًا فى أمراض العين على نحو ما تقدم .

لقد كان الخلفاء الفاطميون جميعًا شغوفين بالأطباء ، يتتبعون أخبارهم وكلما نبغ طبيب وعملوا به ، أرسلوا فى طلبه واهتموا بأمره ، ولو كان من الوافدين على مصر مثل ابن العين زربى ، فعندما علم أحد الوزراء الفاطميين بما كان يتمتع به هذا الطبيب من العلم والفضل والتقدم فى صناعة الطب ، اشتاق إلى رؤيته والاجتماع به ، وبعد أن تم له ما أراد ؛ أعجب به واستحسن ما سمع ، وتحقق فضله ومنزلته فى العلم ، وأخبر الخليفة (لعله الآمر) بذلك ،

فأكرمه وأنعم عليه ، وأطلق له ما يليق بمثله ، واستمر عطاء الخلفاء له حتى وفاته سنة ٥٤٨هـ(١٣٠).

وعندما جاء أبو جعفر يوسف بن حسداى إلى مصر ، قادمًا من الأندلس ، احتفى به الخليفة الآمر حفاوة بالغة وأجزل له العطاء ، ثم كتب له منشورًا جاء نصه بعد البسملة : " ولما كان من أشرف ما طرزت السيرة بقدره ، وأنفس ما وشحت الدول بجميل أثره ، تخليد الفضائل وإبداء ذكرها ، وإظهار المعارف وإيضاح سرها ، لاسيما صناعة الطب التى هى غاية الجدوى والنفع ، وورد الخبر بأنها قرينة إلى الشرع لقوله صلى الله عليه وسلم : " العلم علمان علم الأديان وعلم الأبدان " خرج أمر سيدنا ومولانا لما يؤثره بعلو همته من إنماء العلوم وإشهارها ، واختصاص الدولية الفاطمية بإحياء الفضائل وتجديد آثارها ، ليبقى جمال ذلك شاهدًا لها على مر الأيام ، متسقًا بما أفشاه لها من المآثر الجمة ، والمفاخر الجسام ، لشيخنا أبى جعفر يوسف بن أحمد بن حسدية ، أيده الله ، لصرف رعياته إلى شرح كتب أبقراط التى هى كتب الطب وأوفاها وأكثرها إغماضًا وأبقاها ، وإلى التصنيف فى غير ذلك من أنحاء العلوم ، مما يكون منسوبًا إلى الأوامر العالية ، ورسم التوفر على ذلك والانتصاب له وحمل ما يكمل أولاً إلى خزائن الكتب ، وإقراء جميع من يحضر إليه من أهل هذه الصناعة ، وعرض من يدعيها واستشفافه فيما يعانيه ، فمن كملت عنده صناعته فليُجره على رسمه ، ومن كان مقصرًا فليستنهضه . واعتمدنا عليه فى ذلك لكونه مميزًا فى البراعة فى العلوم متصرفًا فى فنونها ، متقدمًا فى بسطها وإظهار مكنونها ، ولأنه يبلغ الغرض المقصود فى شرح هذه الكتب ويوفى عليه ، ويسلك أوضح السبل وأسدها إليه ، وفى جميع ما شرع له . فليشرع فى ذلك مستعينًا بالله ، منفسح الأمل بإنهاضها له ، وجميل رأينا فيه ، بعد ثبوته فى الدواوين إن شاء الله تعالى . وكتب فى ذى القعدة سنة عشرة وخمسمائة " (١٣١).

وإذا كان هذا المنشور يتضمن تفويضًا من الخليفة الآمر لابن حسداى ، بشرح كتب أبقراط ، والتأليف فى مجال الطب ، بل والقيام بتدريسه لمن يرغبون فى العمل بصناعة الطب ، إلا أنه ينطوى على تقدير عظيم لشخص هذا الطبيب ، الذى أحل على مصر ضيفًا غير عادى، يستحق المبالغة فى الحفاوة به ، وكل التقدير من الخليفة الفاطمى نفسه .

وهناك أطباء نالوا تقدير كل من عاصرهم من الخلفاء ، مثل الشيخ السديد الابن الذى خدم خمسة خلفاء بدءًا من الخليفة الآمر الذى أنعم عليه بأنعام كثيرة وخلع فاخرة وجعل له راتبًا

يقوم بكفايته على أفضل الأحوال ، وتوالت عليه الهبات بعد ذلك حتى أنه حصل فى يوم واحد على ثلاثين ألف ديناراً ، لقاء قيامه بعلاج أحد الخلفاء ، كما حصل على نحو خمسين ألف ديناراً وأكثر بالإضافة إلى أوانى الذهب والفضة التى وهبها له الخليفة الحافظ لدين الله نظير قيامه بطهارة ولديه ؛ واستمر فى خدمة الخلفاء الفاطميين ونال فى أيامهم الكثير من العطايا السنية والمنن الوافرة ، " فنال من جهتهم من الأموال الوافرة والنعم الجسيمة ما لم ينله غيره من سائر الأطباء الذين كانوا فى زمانه ، وكانت له عندهم المنزلة العليا والجاه الذى لا مزيد عليه " (١٣٢).

وهكذا ، فإنه فى ظل هذه السياسة الرامية إلى احترام العلم والعلماء ، وجد الأطباء المصريون وغير المصريون ، مسلمون وذميون فى مصر الحرية المطلقة لمزاولة نشاطهم العلمى والعملى ، وسط مظاهر الحفاوة والتقدير ، فقد كان الخلفاء يجلونهم غاية الإجلال ويجزلون لهم العطاء ، وينفقون على ما يقومون به من نقل وتأليف وشرح لكتب الأوائل بسخاء ، مما دفع العديد من الأطباء المشارقة والمغاربة والأندلسيين ، إلى المجىء إلى مصر والمساهمة فى هذه الحركة الطبية النشطة ، فجعلوا من مصر مركزًا لدراسة الطب وممارسته طوال العصر الفاطمى (٣٥٨ - ٥٦٧هـ / ٩٦٩ - ١١٧١م) .

المناظرات العلمية بين الأطباء :

كان من الطبيعى ، فى ظل هذا العدد الكبير من الأطباء المصريين والوافدين من المشرق والمغرب ، أن تحدث بينهم لقاءات ومناظرات علمية قد تصل فى بعض الأحيان إلى حد الخصومة ، خاصة وأنهم كانوا يتنافسون لإظهار مواهبهم فى صناعة الطب ، وتفوقهم فى علومه ، وذلك من أجل الوصول إلى الرئاسة والجاه ، وإثبات تفوقهم لدى الخلفاء الفاطميين حتى ينالوا جواز المرور إلى خدمتهم ، ويحظون بعطفهم ورعايتهم وينهلون من فيض كرمهم وعطائهم ، وذلك منذ قيام الدولة الفاطمية فى مصر ، فنجد طبيبًا مثل محمد التميمى الذى توافق مقامه فى مصر مع دخول الفاطميين ، يلتقى بالأطباء المصريين ويناظرهم ويختلط بأطباء الخاص القادمين من المغرب ويبادلهم الحوار (١٣٣).

كذلك كان الأمير محمود الدولة أبو الوفاء المبشر بن فاتك يحب الاجتماع بأهل مصر وعلمائها والتباحث معهم ، والاقتباس منهم ، سواء كان ذلك فى العلوم الرياضية أو الحكمية أو فى علوم الطب ، الذى اشتهر بصناعته ، وتتلمذ على أكبر أطباء مصر ورئيسهم أبى الحسن

على بن رضوان (١٣٤). ثم قام هو بالتدريس ، فقرأ عليه فضلاء زمانه ، الذين نبغوا فيما أخذوه عنه وأجادوا فيه (١٣٥)، واشتهر منهم الطبيب اليهودى أبو الخير سلامة بن رحمون الذى التقى به ، وتتلمذ عليه وخاصة فى علم المنطق الذى تميز فيه المبشر بن فاتك (١٣٦).

على أن أهم لقاء حدث فى هذا العصر كان بين رئيس أطباء مصر أبو الحسن على بن رضوان ، والطبيب البغدادى أبو الحسن المختار بن الحسن بن عبدون بن بُطلان ، وهما من أساطين الطب العربى ، ويعدان من الظواهر الهامة فى تاريخ الطب ، وقد بلغت المناظرات بينهما حد الخصومة ، بعد أن دخلت فى نطاق المهاترات الشخصية التى اتضحت من خلال الرسائل والمساجلات المتبادلة بينهما ، ومن أهمها تلك الرسالة التى بعث بها ابن بُطلان إلى على بن رضوان ؛ وتضمنت مادار بين الرجلين من وقائع وحوادث ومحاورات : احتفظ بها القفطى(١٣٧) ونشرها يوسف شاخت وماكس مايرهوف ضمن خمس رسائل لابن بُطلان وابن رضوان وقد علق القفطى على هذه الرسالة قائلاً " ولما جرى لابن بطلان بمصر مع ابن رضوان ما جرى كتب ابن بطلان رسالة يفظعه فيها ويذكر معايبه ويشير إلى جهله بما يدعيه من علم علوم الأوائل ... " (١٣٨).

وفى تقديرى أن هذا العداء الذى نشب بين الشيخين ، إنما يرجع إلى عدم قدرة ابن رضوان على إدارة الحوار مع ابن بطلان ، فقد عرف عنه ، أنه شديد البأس ، قوى الإرادة ، كثير الرد على معاصريه ، وعلى كثير ممن تقدمه . " وكانت عنده سفاهة فى بحثه وتشنيع على من يريد مناقشته " (١٣٩). وقد ألمح ابن بطلان إلى ذلك فى رسالته ، إذ يقول : " ووجدت الشيخ فى فصل من المقالة قد حمى طبعه واحتد غضبه ، ونشف ريقه ، ودرت عروقه وصرح بسبى ، ولوح باسمى ، ولم يقص فى حق الصناعة ولا رعى فى حرمة الدراعة ، ونسبنى إلى الغباء ، وقطع بأننى لم أقرأ شيئًا من علوم القدماء ... " (١٤٠). ولعل هذا هو السبب الذى دفع ابن بطلان إلى النيل من شخص ابن رضوان الذى لم يكن جميل الصورة بل كان أسود اللون وقد ألف مقالة يرد بها على من عيره بقبح الخلقة ، بين فيها أن الطبيب الفاضل لا يجب أن يكون وجهه جميلاً " . فانتهزها بن بطلان فرصة للنيل منه ، ولقبه " تمساح الجن " وقال فيه :

فلما تبدى للقوابل وجهه ... نكصن على أعقابهن من الندم

وقلن وأخفين الكلام تسترا ... ألا ليتنا كنا تركناه فى الرحم !(١٤١)

وقد دارت المساجلات والرسائل بينهما على هذا النحو ، تميز فيها ابن بطلان ، لا لأنه أكثر علمًا من ابن رضوان ولكن لأنه كان " أعذب ألفاظًا وأكثر ظرفًا وأميز فى الأدب وما يتعلق به"(١٤٢) . غير أن هذه الرسائل ، وإن كانت تحتوى فى مجملها على وقائع غريبة ونوادر ظريفة ومحاولات من كلا الشيخين للنيل من الآخر ، إلا أنها كشفت عن قمتين في صناعة الطب ، كان لهما الفضل فى إثراء المكتبة الطبية بالمؤلفات القيمة ؛ ولو أن ابن رضوان أحسن استقبال ابن بطلان لكان لهما شأن آخر ، وإن اختلفا فى الرأى ؛ وكان من مظاهر الخلاف أن ابن رضوان كان يرى أن تحصيل صناعة الطب من الكتب أوثق من المعلمين وذكر ذلك صراحة فى مقدمة كتابه" النافع " بقوله : " ولما أردنا أن نتعلم هذه الصناعة التمسنا فى مدينة مصر من رأينا أن المتعلمين يقصدونه فى التعليم ... وغير المتعلمين يحمدونه ، فقصدناه وسألناه التعليم ، فأجابنا إلى ذلك ... ثم أمر أن نحفظ " مدخل حنين " وكنا نشاهد تدريسه المتعلمين قراءة ، لا يفسر مستغلقًا ، ولايزيد على أن يسمع قراءة من يقرأ حرفًا واحدًا ... لكن يصغى لقراءة المتعلم فقط ، فربما صحّف المتعلم أو زيف ، فلا يشعر هذا المعلم بذلك !! ثم رأينا المنظور إليه من أطباء هذه المدينة يجرى أمرهم فى تدريسهم هذا المجرى بعينه "(١٤٣) .

وكان رد ابن بطلان مخالفًا لما ذكره ابن رضوان ، مؤكدًا على ضرورة وجود معلم ، وقدم فصلاً فى الأسباب التى تجعل المتعلم من أفواه الرجال أفضل من المتعلم من الصحف (١٤٤).

وخصص الفصل الثانى من رسالته إلى ابن رضوان " فى أن الذى علم المطالب من الكتب علمًا رديئًا شكوكه بحسب علمه يعسر حلها " (١٤٥).

ومن الخلافات التى جرت بينهما أيضًا ، ردود ابن رضوان على حنين بن اسحق الطبيب النصرانى ، أبو زيد العبادى ، الذى اشتهر بالبصرة وتخصص فى طب العيون ، وقام بترجمة العديد من كتب أبقراط وجالينوس فى زمن الخليفة المتوكل على الله العباسى ؛ وقد رأى ابن بطلان فى ردود ابن رضوان على آراء حنين نقداً لاذعًا ، يتعارض مع مكانه حنين بن إسحق ، فتصدى له بقوله : إن " المؤيد حنين بن إسحق الذى منح الله البشر علوم القدماء على يده ، فالعقول فى ضيافته إلى اليوم ، يمتارون من فضله ، ويعيشون فى بره وبحسب هذا ، لم أؤثر للشيخ أن يدفع العيان ، ويخرق الإجماع ويكتب بما شهدت به الأذهان وصدق به البرهان من فضله ونور مطارح شعاعه ، ففى فعله هذا مخاز كثيرة ، منها نقض ميثاق أبقراط صاحب الصناعة الذى عهده إلى الأطباء ووصى فيه بإكرام العلماء ... " (١٤٦).

واستمراراً لهذا الخلاف الجدلى بين هذين الشيخين ، صنف ابن رضوان عدداً من الرسائل والمقالات للرد على ابن بُطلان ، وتفنيد آراءه ومنها : " مقالة فى نقض مقالة ابن بُطلان فى الفرخ والفروخ " و" مقالة فيما أورده ابن بُطلان من التحييرات " و" مقالة فى أن ما جهله يقين وحكمة ، وما علمه ابن بُطلان غلط وسفسطة " و" مقالة فى أن ابن بُطلان لا يعلم كلام نفسه فضلاً عن كلام غيره " و" رسالة إلى أطباء مصر والقاهرة فى خبر ابن بُطلان" وقول له فى جملة الرد عليه و" مقالة فى التنبيه على ما فى كلام ابن بُطلان من الهذيان"(١٤٧) .

ويبدو أن ما دار بين هذين الطبيبين كان من أهم الظواهر فى العصر الفاطمى ، فنالت اهتمام المؤرخين لهذا العصر ، القدامى منهم والمحدثين ، فسجلوا العديد من جوانب الخلاف والمناظرات التى دارت بينهما ، وشهد بعضهم بأن ابن رضوان كان أكثر علمًا من ابن بطلان(١٤٨)، وإنه " كان إمامًا فى الطب والحكمة ، كثير الرد على أرباب فنه ، وكان فيه سعة خلق عند بحثه ، وله مصنفات كثيرة " (١٤٩). بينما قلل البعض الآخر من شأن الطبيب المصرى بالقول : إنه " قرأ شيئًا من الطب وشيئًا من المنطق ، وكان من المغلقين لا المحققين ... ومع هذا تتلمذ له جماعة من الطلبة وأخذوا عنه ... وصنف كُتبًا لم تكن فى غاية بابها ، بل هى مختطفة ملتقطة مبتكرة ، مستنبطة ... فأما تلاميذه فقد كانوا ينقلوا عنه من التعاليق الطبية والأقاويل النجومية والألفاظ المنطقية ما يضحك منه ... " (١٥٠).

ولم يتوقف على بن رضوان عند نقد معاصريه من الأطباء والحكماء ، بل انتقد جمع كبير من كبار الأطباء الذين سبقوه ، ومنهم أحمد بن إبراهيم الطبيب المغربى المعروف بابن الجزار (ت ٣٩٦هـ / ١٠٠٥م) ، الذى ألف كتابًا عن أسباب انتشار الوباء فى مصر ، هو " كتاب نعت الأسباب المولدة للوباء فى مصر ، وطريق الحيلة فى دفع ذلك ، وعلاج ما يتخوف منه " وقد كان هذا الكتاب منَ الأسباب التى دفعت ابن رضوان إلى تأليف كتابه " دفع مضار الأبدان بأرض مصر " حيث قال فى مقدمته : " وقد كان أحمد بن إبراهيم ، الطبيب المغربى المعروف بابن الجزار ، وضع فى ذلك مقالة مفردة لم يستقص فيها ما يحتاج إليه من تلخيص القول واستيفاء الوصف ، فى ذكر الأسباب البلدية ، وما يحدث عنها وما يُدفع به ضررها .. وخليق أن يكون عرض له النقصان من قبل أنه رجل من أهل المغرب ، لم يعاين مصر معاينة اختبار وامتحان ولكن سمع بها فقط ... بحسب ما تضمنه كلامه . وكتابنا هذا يزيد على

كتابه، بمقدار فضل قوتنا على قوته ، فى أنواع الفلسفة ، وبمقدار اختبار أرض مصر بالمشاهدة دون الخبر ، سنين كبيرة متوالية ... ومن أحب الإنصاف ، وآثر العدل ، فسيقف على صدق هذا القول ، إذا جمع بين الكتابين ، وتأملهما من غير ميل مع الهوى ... " (١٥١).

وهذا الاستهلال الذى بدأ به ابن رضوان كتابه يوضح موقفه المتشدد من الطبيب المغربى ، وإن التمس له العذر فى كونه من أهل المغرب ، لم يعاين أرض مصر ، ولم يدرس طبيعتها عن طريق المشاهدة والتجربة ، بل جاء حكمه نتيجة لسماعه بها ، مما يجعل هذا الحكم ناقصاً مغلوطاً ، وهذا الأمر يؤكد منهج ابن رضوان القائم على المشاهدة والمعاينة والتجربة ، منافياً فى ذلك ما تقدم من قول القفطى : إنه كان من المغلقين ، لا المحققين ... " (١٥٢).

وقد خصص ابن رضوان الفصل الخامس من كتاب " دفع مضار الأبدان " لتفنيد آراء ابن الجزار حول أسباب وخم أرض مصر ، ومنها " أن العلة فى مرض النين وفدوا من المغرب إلى مصر هو كثرة اختلاف هواء مصر " ، وقد اتفق ابن رضوان معه فيما يتعلق بالمغاربة ، غير أنه نفى أن يعرض هذا لأهل مصر ، لأن أبدانهم ألفت ذلك ، ولأنهم لم ينهكهم السفر . ومن المسائل التى أخذها ابن رضوان على ابن الجزار قوله : " إن هواء أرض مصر ، فى أكثر أيام السنة ، مشاكل لهواء الخريف ، فى البرد واليبس ، والاختلاف " ، واعتبر ابن رضوان أن هذا خلاف ما عليه المحسوس فى السنة كلها ، فإن هواء مصر يرطب كثيراً فى فصل الخريف ، فضلاً عن غيره .

ومن الأقوال التى أخذها عليه أيضاً قوله : " فأكثر أمراض أهل مصر خريفية " ، حيث أن هواء مصر كما يرى ابن رضوان ، ليس خريفيًا ، وإنما يتغير فى اليوم الواحد ، ليس إلى البرد والحر فقط ، وإلى اليبس ، وأكثر أوقاته رطب حتى أن الندى يوجد كثيراً فى غدوات أيام الصيف ، أما قول ابن الجزار : " إن العلة فى الوباء بمصر ، هو الضباب الكائن فى الهواء " فهو أيضاً ليس صحيحاً ، حيث يرى ابن رضوان : " إن أكثر تولد هذا الضباب بأرض مصر عند صحة الأبدان فى آخر كهيك ثم طوبة وأشير ومن شأن الشتاء أن يكون كثير الرطوبة وإذا كان الفصل لازمًا لنظامه الطبيعى والبلد ، فليس يحدث مرضاً وكثرة الضباب فى الشتاء بأرض مصر ، مما يرطب الهواء عوضاً من ماء المطر " .

وقول ابن الجزار : " إن ماء النيل مضر بكل من سكن مصر ... ضرراً محسوساً " أبعد ما يكون عن الحقيقة ، لأن النيل " هو السبب الأعظم فى سكنى هذه الأرض ، وأبدانهم قد ألفته،

فهواؤها غير مضر ، وإن كان بالحقيقة رديئًا " . ثم يختتم ابن رضوان ردوده على ابن الجزار بقوله : " وهذه الأشياء التى غلط فيها ابن الجزار ، هى التى اعتمد عليها فى كتابه ؛ ولو كان ما نكره صادقًا ، لوجب ضرورة دوام الوباء بهذه الأرض ، لأن هذه الأشياء هى دائمة لا تنقطع ، فكانت هذه الأرض تخرب ويهلك جميع أهلها . فأقاويل ابن الجزار تخالف أقوال الأوائل ، ويلزمها هذا المحال ، وأيضًا فلسنا نجد ابن الجزار فى شىء من كتابه فرق بين الأمراض البلدية وبين الأمراض الوافدة ، ولكنه جعل جميعها شيئًا واحدًا . وهذا يضيع غرض كتابه . والذى أوقع ابن الجزار فى هذا الغلط ، إهماله فى أمر المشاكلة التى بين أبدان المصريين وبين هذه الأشياء (١٥٣).

ومن هذا النقاش يتضح رسوخ ابن رضوان فى علوم الطب ، وقدرته على فهم كتب الأوائل مثل أبقراط وجالينوس ، حيث اعتمد على أقوالهم فى ردوده ، ما يؤكد قدرته على ربط النصوص التى قرأها بالتجربة والمشاهدة ، مما أعطاه قدرة على فهم العلل والأسباب التى تؤدى إلى حدوث الظواهر المرضية ، والتفريق بينها من حيث النوع والكيف ، فهناك الأوبئة والطواعين ، التى تنتج عن ظواهر طبيعية وكونية ، وهناك أمراض بلدية ، لا تظهر إلا فى قطر واحد لما يعتريه من أحوال مناخية وجغرافية ، وهناك الأمراض الوافدة التى تأتى من خارج البلد أو المدينة ، وهذا يتضح من خلال مؤلفات ابن رضوان الطبية العديدة .

ولما كان ابن رضوان كثير الاطلاع على مؤلفات الأطباء المعاصرين له والسابقين ، فقد كثر نقده لهذه الكتب وما ورد فيها من آراء ، وذلك على الرغم من شهرتها وعلو شأن أصحابها فى مجال تخصصهم مثل حنين ابن اسحق وأبو بكر محمد بن زكريا الرازى ، فألف عددًا من الكتب للرد عليهم ، وتفنيد آراءهم ، بطريقة علمية تعتمد على المنطق ، وذلك بما كان يتمتع به من روح منطقية علمية ، ومن هذه المؤلفات : " كتاب تتبع مسائل حنين " و " مقالة فى الرد على افرائيم وابن زرعة فى الاختلاف فى الملل " و " كتاب فى حل شكوك الرازى على كتب جالينوس" و " كتاب فى الرد على الرازى فى العلم الإلهى وإثبات الرسل " (١٥٤).

وإذا كانت روح النقد قد غلبت على ابن رضوان فى بعض مؤلفاته ، فإنه لم يسلم من نقد أطباء آخرين سواء كانوا معاصرين له أم مطلعين على مؤلفاته بعد وفاته . ومن أشهرهم الطبيب الأندلسى زهر بن عبد الملك بن محمد بن مروان بن زهر الأيادى (ت ٥٢٦هـ / ١١٣١م) الذى انبرى للرد على ابن رضوان ، فى كتاب بعنوان " الإيضاح بشواهد الافتضاح

فى الرد على ابن رضوان فيما رده على حنين بن إسحق فى كتاب المدخل إلى الطب " (١٥٥). وكذلك الطبيب أبو الصلت أمية بن أبى الصلت ، فى كتابه " الانتصار لحنين بن إسحق على ابن رضوان فى تتبعه لمسائل حنين " (١٥٦). ومن الواضح أنهم جميعًا وجدوا فى نقده لحنين بن إسحق فرصة للنيل منه .

ويجب أن نأخذ بعين الاعتبار أن ابن الصلت كان متحاملاً على جميع أطباء مصر وعلمائها، حيث يقول " فقد دثر منها كل علم وأمحى رسمه ، وجهل اسمه ، ولم يبقى إلا رعاع وغثاء ، وعامة عمياء ، وجلهم أهل رعانة ، ولهم خبرة بالكيد والمكر ، ... " كما قال " فلم أجد غير قوم طبع الله على قلوبهم وأعمى أبصارهم ، وطمث أفهامهم ، وحال بين الحكمة وبينهم..."(١٥٧). ومن يطلع على مثل هذه الأقوال يدرك عدم موضوعية صاحبها فى نقد الآخرين ، ويعتبر ابن أبى الصلت محظوظًا لأنه لم يلتقى بطبيب مصر على ابن رضوان الذى عرف عنه القسوة فى الرد على منافسيه ، فسلم من نقده اللاذع . غير أنه التقى عددًا من الأطباء ومنهم ابن رحمون ، حيث انتقده بقوله : " وأشبه من رأيته منهم وأدخله فى عداد الأباء، رجل من اليهود يدعى أبا الخير سلامة ابن رحمون ... لم يكن بذلك فى تحقيقه واستقصائه عن لطيف العلم ودقيقه ، بل كان يكثر كلامه فيضل ، ويسرع جوابه فيزل " . وكان ذلك بعد أن التقى به ودارت بينهما مناظرة علمية ، وطرح على ابن رحمون عدة مسائل ، فجاء جوابه غير مقنع له ، فوصفه بأنه " أبان عن تقصيره ، ونطق بعجزه ، وأعرب عن سوء تصوره وفهمه " وزاد فى هجائه بقوله : " وكان يزور فصولاً طبية وفلسفة يبرزها فى معارض ألفاظ القوم ، وهى محال لا معنى لها ، وفارغة لا فائدة منها ، ثم ينفذها إلى من يسأله عن معانيها ، يستوضحه أغراضها ، فيتكلم عليها ويشرحها بزعمه دون تيقظ ولا تحفظ ، بل باسترسال واستعجال ، وقلة اكتراث وسوء اهتبال ، فيؤخذ منه ما يُضحك منه ويشرح الصدّ " (١٥٨).

ومما لاشك فيه أن العصر الفاطمى قد شهد نضوجًا فكريًا ، نمت فيه العلوم وأساليب الجدل المنطقى الذى صاحبه تطورًا فى صناعة الطب وعلومه ، ويرجع ذلك إلى وجود خلفاء أحبوا العلم والعلماء ، وفتحوا لهم أبواب قصورهم ، وخير دليل على ذلك ما حدث مع الطبيب الأندلسى ابن حسداى الذى لاقى ترحيبًا واهتمامًا كبيرًا – على نحو ما تقدم – بل إن الخليفة الحافظ طلب منه أن يلتقى بأطباء مصر لتبادل الآراء والأفكار ، فدارت بينه وبينهم العديد من المناظرات العلمية (١٥٩).

اماكن العلاج ودور الاستشفاء :

كان البيمارستان من أهم مراكز الطب فى العصر الإسلامى ، فقد اشتمل على مدارس الطب والمستشفيات معًا ، حيث كان الطب يدرس فيها إلى جانب علاج المرضى (١٦٠).

وقد شهدت مصر فى عصر الولاة والدول المستقلة بناء عدد من البيمارستانات ، ففى عصر الخليفة المتوكل على الله العباسى (٢٣٢ - ٢٤٧هـ / ٨٤٦ - ٨٦٢م) بنى الفتح بن خاقان مارستانًا فى خطة المعافر عرف بها ، وأصبح يقال " مارستان المعافر " (١٦١)، ثم أنشأ أحمد بن طولون مارستانه الشهير سنة ٢٥٩هـ / ٨٧٣م الذى عرف بالمارستان الأعلى أو البيمارستان العتيق بمصر (١٦٢). وفى ولاية أبو القاسم أنوجور بن محمد بن طغج الإخشيد ، بنى كافور الإخشيدى مارستانًا سنة ٣٤٦هـ / ٩٥٩م عرف باسمه (١٦٣).

ومن الواضح أن كافور الإخشيدى كلف ببنائه محمد بن عبد الله الخازن (١٦٤). الذى قام بالعديد من الإنشاءات المعمارية ، وقد ذكر ابن دقماق أن الخازن بنى هذا المارستان ، وأوقف عليه الإخشيد أمير مصر جميع ما بناه من قيسارية ودور وحوانيت وغيرها ، وأن هذا المارستان كان فيه من الأزيار الصينى الكبار والبراني والقدور النحاس والطشوت وغير ذلك ما يساوى ثلاثة آلاف دينار ، وقد عرف بالمارستان الأسفل تمييزًا له عن مارستان أحمد بن طولون (١٦٥). كما أن هذا المارستان قد استمر عامرًا زمنًا طويلاً ، فى الوقت الذى ضعف فيه شأن المارستان الطولونى " الأعلى " حيث نقل إلى المارستان الأسفل معظم المعدات والموجودات التى كانت بالمارستان الأعلى (١٦٦). ومن المرجح أن يكون المارستان الأسفل هو الذى عمل به الطبيب محمد بن عبدون الجبلى الذى وفد إلى مصر بعد سنة ٣٤٧هـ / ٩٦٠م ونزل فى مدينة الفسطاط ودير مارستانها (١٦٧). كما زاره أبو الصلت أمية ابن أبى الصلت ، وأثنى عليه وعلى طريقة العلاج به وخاصة فيما يتعلق بالأمراض النفسية(١٦٨)، مما يؤكد أنه كان يوجد به قسم خاص بالأمراض العصبية والنفسية إلى جانب الأقسام الأخرى المتعلقة بالجراحة وغيرها .

ومن الواضح أن مصر قد اقتصرت على هذا البيمارستان فى العصر الفاطمى ولم يكن هناك اهتمام ببناء مارستانًا جديدًا ، وربما كان السبب فى ذلك أن الخلفاء جعلوا قصورهم مقرًا لأطباء الخاص ، بينما اقتصر البيمارستان على علاج العامة والفقراء ؛ فيذكر القلقشندى أن الأطباء كانوا يجلسون بقاعة الذهب بالقصر ، فيخرج الأستاذون ويستدعون من يجدونه منهم للدخول على المرضى من أقارب الخليفة وخواصه بالقصر (١٦٩). كما كان الأطباء

يجعلون من بيوتهم " عيادات " لاستقبال المرضى وعلاجهم ، فيذكر الشيخ السديد أنه كان فى صباه ، يجلس عند باب داره ، ويقوم بعمليات الفصد لجماعة من الناس فى كل نهار (١٧٠). كذلك جعل أبو البيان بن المدور من داره مقراً لعلاج مرضاه ، وتدريس الطب لتلاميذه (١٧١). ومع ذلك فإن الأمر لم يخل من قيام الأطباء بعيادة مرضاهم فى بيوتهم ، فقد ظل أبو البيان ابن المدور يعاود مرضاه حتى تقدم به السن وضعف عن الحركة فلازم بيته وكان لا يمض إلى أحد لمعالجته فى تلك المدة إلا من يعز عليه جداً (١٧٢). كما كان أبو الفضل بن الناقد الذى اشتهر بالكحالة وطب العيون ، يركب ويدور على المرضى ، والذين يكحلهم (١٧٣).

اثر الطب الفاطمى فى الحضارة الأوروبية :

اتضح مما تقدم أن مصر شهدت نهضة طبية كبيرة ، شارك فيها كبار الأطباء المصريين والعرب ، وخاصة أولئك الذين وفدوا إليها من المشرق والمغرب والأندلس وساهموا بقسط وافر ، فى ظل خلفاء أيقنوا أهمية الطب وعلمائه ، فقدموا لهم العون والدعم ، وفتحوا لهم أبواب قصورهم ، وهيئوا أجواء مناسبة للمزيد من الإبداع ، مما أدى إلى ثراء فكرى وعلمى وعملى ، فترك أطباء ذلك العصر تراثاً ضخماً تمثل فى عدد كبير جداً من المخطوطات والمؤلفات الطبية يمكن أن يحصى بالمئات .

ولاشك أن هذه المؤلفات كان لها دورها فى التأثير فى مدارس الطب الغربى ، التى اعترف كثير من المستشرقين المنصفين بأنها مدينة إلى الحضارة العربية ، والطب العربى ، الذى بدأ يؤثر فى أوروبا منذ القرن العاشر الميلادى ، ثم اتضح أثره بعد القرن الثالث عشر ، " حيث أصبح الطب العربى قدوة انبثق منها شعاع الفكر الأوروبى فى الدراسات الطبية ، وأصبح المادة التى اعتمد عليها الأساتذة والطلاب فى كليات الطب بالجامعات التى بدأت آنذاك تظهر فى بادوا ، وبولونيا " (١٧٤). وكان من بين الأطباء العرب الذين لاقوا شهرة واسعة فى أوروبا ، الطبيبين العظيمين ابن سينا والرازى ، ومما يدل على تقدير أوروبا لهما أن كلية الطب بجامعة باريس لا تزال تحتفظ بصورتين كبيرتين لهما فى أعظم أبهائها (١٧٥).

أما الأطباء المصريين ، فقد كان لهم النصيب الوافر فى انتقال إنتاجهم الفكرى إلى أوروبا، بفضل بعض الأطباء الرحالة الذين زاروا مصر ونقلوا مؤلفات أطبائها إلى المدن الأوروبية التى رحلوا إليها ، بعد قيامهم بترجمتها ، وعلى رأسهم قسطنطين الإفريقى أحد الأطباء المسلمين التونسيين ، الذى تعلم فى بغداد ثم عاد إلى تونس ، غير أنه تنصر وهرب إلى إيطاليا ، ودخل

سلك الرهبنة ؛ وكان قد استغل معرفته للعربية واللاتينية واليونانية ، ونقل العديد من مؤلفات العرب الطبية إلى اللاتينية ، دون أن يذكر أسماء مؤلفيها الحقيقيين ، ناسبًا تأليفها لنفسه ؛ وعلى الرغم منَ ذلك فإن اليقظة الأوروبية بدأت بشرارة أرسلتها ترجماته فى حقل الطب ، وقد ظل أثر كتبه لفترة طويلة من الزمن فى أوروبا مما حدا بالكثيرين إلى تسميته برائد الطب العربى فى أوروبا (١٧٦). فقد نقل علم العرب فى الطب والمداواة ، فى سيل عرم ، إلى سالرنو، فغمرها وأخصب أرضها ، فكان الأوروبيون يحجون إليها ليتعلموا هذا التراث ، ويتلقون علاجهم بها أيضًا ، وسرعان ما انتقل هذا السيل العرم من طب العرب ، وامتد إلى جميع أنحاء أوروبا (١٧٧).

وكان قسطنطين الإفريقى قد التقى الطبيب ابن بطلان فى بغداد وحلب وإنطاكية ، وتعرف على أخبار الطبيب المصرى ابن رضوان ، ووصلت إليه مؤلفاته ، ونقلها إلى سالرنوا ، واتصل بشقيق أميرها الذى كان طبيبًا ، ودار بينهما حديثًا عن الطب والعقاقير الطبية ، فتطرق معه إلى معجزات الطب العربى وعقاقيره التى تشفى العليل فى لمح البصر وتعيد الشيخ إلى شبابه، ووعده بأن يجلب له من الشرق فى أسفاره القادمة كنوزًا من الطب العربى ؛ ثم عاد إلى مصر، ودخل مدارس الطب بها وأمضى فيها سنوات ، رجع بعدها إلى سالرنو حاملاً معه رزمة من الكتب ، دأب على ترجمتها بمساعدة بعض الرهبان ، كان من بينها كتاب حنين بن إسحق فى علم أمراض العيون ، وكتاب " زاد المسافرين " لابن الجزار ، وبعض مؤلفات إسحق الإسرائيلى ، وغيرهم ؛ ولم يعد هناك طبيب فى السرنوا إلا واستقى علومه ومعارفه من مؤلفات العرب الطبية ، كما لم يكن هناك كتاب فى العلوم وخاصة الطب إلا اتضح فيه تأثير الفكر العربى (١٧٨).

ومن أهم معابر الطب المصرى فى العصر الفاطمى إلى أوروبا ، أولئك الأطباء الرحالة الذين زاروا مصر وتعرفوا على أطبائها ، ثم رحلوا إلى أوروبا ، وقد سبقت الإشارة إلى الطبيب جرجس الإنطاكى ، الذى حضر إلى مصر عقب وفاة ابن رضوان والتقى العديد من أطباء مصر المشهورين ومنهم الطبيب سلامة بن رحمون ، وإن كان قد هجاه بعد أن وقعت بينهما خصومة ، ثم عاد إلى إنطاكية حاملاً معه نخائر هذا العصر من المؤلفات الطبية ، خاصة وأنه دأب على تعلم الطب فى مصر واشتغل به أيضًا (١٧٩). ولا شك أن إنطاكية كانت إحدى معابر الحضارة العربية إلى أوروبا ، وخاصة فى زمن الحروب الصليبية .

على أن أهم هؤلاء الأطباء قاطبة الطبيب البغدادى الشهير ابن بطلان ، وقد سبقت الإشارة إلى انتقاله من مصر إلى القسطنطينية وإنطاكية ، ولا شك أنه أخذ معه إلى جانب مؤلفاته التى حررها بمصر ، بعض مؤلفات الأطباء المصريين وخاصة غريمه على بن رضوان ، وقد انتقلت هذه المؤلفات من القسطنطينية وإنطاكية إلى جميع أنحاء أوروبا ، حتى أن مؤلفات ابن بُطلان نفسه انتشرت فى مكتبات أوروبا ، نذكر منها: " كناش الأديرة والرهبان ... " الذى توجد منه نسخة بمكتبة الفاتيكان ؛ وكتاب " تقويم الصحة ، فى قوى الأغنية ودفع مضارها " الذى نشر فى عدة ترجمات ومنه نسخة ترجمت إلى اللاتينية فى استراسبورج سنة ١٩٣١م ، ونسخة ترجمت إلى الألمانية فى استراسبورج أيضًا سنة ١٩٣٢م ، ومنه نسخة بالمتحف البريطانى وأخرى بالفاتيكان (١٨٠). وقد اعتبرت زيغريد هونكه ، كتاب ابن بُطلان " تقويم الصحاح " أنفع كتب الطب قاطبة ، عن التأثيرات المفيدة أو المضرة للمناخ والتغنية والعوارض الخارجية ، والحركة والراحة والنوم واليقظة وعن الوسائط لمكافحة ضررها (١٨١).

ولما كانت مصر قبلة للأطباء المغاربة والأندلسيين ، فقد كان لهؤلاء الأطباء نشاطهم فى نقل علوم الطب المصرى إلى الأندلس ، ومن أشهرهم ابن زهر وابن أبى الصلت ، وغيرهم من الأطباء الذين سبق حصرهم فيما تقدم ، بالإضافة إلى الأطباء الذين وفدوا إلى مصر فى العصر الأيوبى واطلعوا على ما بها من ذخائر فى علوم الطب ، ومنهم من عادوا إلى بلادهم يصطحبون معهم نسخًا من أهم المخطوطات فى الطب المصرى ، ومن أشهر الأطباء الذين وفدوا إلى مصر زمن الأيوبيين الطبيب الشهير موسى بن ميمون (ت ٦٠٥هـ / ١٢٠٨م) ، ولما كانت الأندلس من أهم معابر الحضارة العربية إلى الغرب ، فلاشك أن هناك العديد من النماذج الطبية الأندلسية التى تأثرت بالطب المصرى فى العصر الفاطمى قد انتقلت إلى أوروبا من خلالها ؛ حتى أن معظم مؤلفات موسى بن ميمون ترجمت إلى عدة لغات ومنها " مقالة فى تدبير الصحة " التى ترجمت إلى العبرية واللاتينية فى مونبيلييه سنة ١٢٩٠م ، وكان معروفًا جدًا فى الغرب حيث طبع قبل عام ١٤٨٤م بفلورنسا وفى البندقية عام ١٥١٤م و ١٥٢١م وفى ليون بفرنسا عام ١٥٣٥م ؛ ومقالة فى الربو ترجمت إلى العبرية واللاتينية أيضًا (١٨٢).

وتجدر الإشارة هنا إلى أن هناك عدد من الأطباء اليهود ، ساهموا فى نقل الطب العربى بوجه عام ، والطب المصرى على وجه الخصوص إلى أوروبا ، وذلك باعتبارهم وسطاء بين العالمين الإسلامى والمسيحى انطلاقًا من جنوب أوروبا ، وكذلك عن طريق الأندلس ، فكانوا من

المعلمين الأوائل فى مونبيلييه وبولونيا ، ومنها وصلوا إلى فرانكفورت وفلاندر وموسكو وغيرها من المدن الأوروبية (١٨٣).

وقد عمل هؤلاء الأطباء على نقل مؤلفات أقرانهم المقيمين فى العالم الإسلامى إلى أوروبا ، مما أدى إلى اشتهار عدد كبير من الأطباء المصريين ، ومنهم إسحق بن سليمان الإسرائيلى ، الذى تخصص فى طب العيون ، وانتقلت مؤلفاته إلى أوروبا بعد أن ترجمت إلى العبرية واللاتينية ، فزصبحت من أهم المصادر الطبية فى أوروبا بأجمعها ، واستعملت كتبًا للدراسة فى سالرنو وباريس ونقل عنها بعض أطباء أوروبا (١٨٤). وكان ألدو براند السينى " الطبيب التوسكانى لدى بياترس سافوى " من أوائل المترجمين من اللاتينية إلى الفرنسية ، وكتب رسالة طبية ، جاء للقسم الثالث منها على غرار كتاب الأدوية المفردة والأغذية لإسحق الإسرائيلى (١٨٥). ومن بين الأطباء اليهود المصريين الذين اشتهروا فى أوروبا أيضًا ابن المدور وابن الناقد وغيرهما (١٨٦).

أما عن المجالات الطبية التى نبغ فيها الأطباء المصريون ، وكان لها أثرها فى الحضارة الأوروبية ، فهى عديدة ، من بينها طب العيون ، الذى كان شائعًا فى مصر " بلد أمراض العيون" وقد اشتهر عمار الموصلى فى أوروبا ، وكان كتابه فى طب العيون يعد من المصادر الرئيسية حتى القرن الثامن عشر (١٨٧). وهو فى الواقع نتاج مجهودات عربية سبقته فى هذا المجال ويرجع هذا التفوق الذى أحرزه العرب ، إلى خبرتهم فى معالجة الأمراض المستوطنة للعين مثل الرمد والتراخوما الناتجة عن الغبراء الساخنة المنتشرة فى سهول الشرق الأوسط . فمن خلال الممارسات اليومية والتقنيات والإنجازات التى كانت تتطور مع مرور الزمن ، بلغ الأطباء العرب فى طب العيون مستوى من الكفاءة لم يبلغه غيرهم حتى من الحكماء الأوائل(١٨٨).

كما استفاد الأوروبيون من الدراسات العربية فى استنباط الدواء اللازم لعلاج أنواع التسمم وتسهيل الهضم ، وكان من أبرز الأطباء الذين عاشوا فى مصر فى ظل الخلافة الفاطمية وكان له أثره فى الطب الأوروبى فى هذا المجال الطبيب محمد التميمى المقدسى الذى بذل مجهودات كبيرة فى استنباط دواء عام ضد كل أنواع التسمم ، وأوجد دواء سائغًا لستيهل الهضم برفق وفاعلية فى آن واحد ، وضمنها كتابه المسمى " مفتاح الفرج والتخفيف عن الروح " (١٨٩).

وإلى جانب المؤلفات العربية فى الطب ، نجح الأطباء المصريون فى شرح وتفسير كتب الأوائل أمثال أبقراط وجالينوس وغيرهما ، وكان رائد هذه الحركة فى مصر ، عميد أطبائها أبو الحسن على بن رضوان ، الذى اشتهر عند علماء اللاتين باسم " هالى ردوام " بسبب تعليقاته على كتاب جالينوس (١٩٠). وقد قام جيرارد الكريمونى (أحد المترجمين الإيطاليين الذين أقاموا فى طليطلة لترجمة المخطوطات الطبية العربية) بترجمة كتاب على بن رضوان : " شرح جالينوس " ثم طُبع هذا الكتاب فى فنيسيا سنة ١٤٩٥م (١٩١). والملاحظ دومًا فى كل ما كتبه ابن رضوان أنه يجعل من أبقراط وجالينوس معلمين يحترمهما ، ويعتقد أن ما كتباه هو الحقيقة ، وكل ما فعلاه عظيم وممتاز ، وكل من جاء من بعدهما لا قيمة له (١٩٢). وذلك فى الوقت الذى وجد الأوروبيون فيه صعوبة فى فهم مؤلفاتهم ، وقد شهد بذلك أحد المستشرقين فى قوله : " إن العرب هم الذين أدخلوا النور والترتيب على تراث القدماء الذى طالما اكتنفه الغموض ونقصه التسلسل ، ومكان النقل الآلى بالفقرات وتجميع المعلومات واضطراب المخطوطات الكثيرة لدى البيزنطيين ، مكان كل هذا ، صنف العرب كتبًا مختصرة جامعة عظيمة التماسك ، صبوا فيها كل المواد الدراسية الخاصة ، وعرفوا كيف يقدمون العلوم فى أشكال سهلة ، وصاغوا فى لغتهم الحية التى لم تمت فيها كلمة ، تعابير علمية مثالية " (١٩٣).

ومن الأمور التى وقف أمامها الأوروبيون مشدوهين بما أحرزه أطباء العرب من تقدم فى مجالات الطب ، طرق العلاج وكيفية معاملة المرضى ، وكان لتعليمات على ابن رضوان آثارها فى تعميق دهشة الغرب ، ومنها قوله : " من واجب الطبيب أن يعالج أعداءه بالروح نفسه والإخلاص ذاته ، والاستعداد عينه الذى عالج به من أحبهم " (١٩٤). وهذا بلا شك من المظاهر الأخلاقية السائدة لدى الأطباء العرب ، وهى مستمدة من سماحة الدين الإسلامى التى شكلت فكر ووجدان وثقافة المجتمع العربى بأكمله .

كما أن ابن رضوان ، وضع تصورًا لطريقة الكشف على المرضى ، على نحو ما تقدم ، أصابت المستشرقين بمزيد من الدهشة ، حتى قالت عنه زيغريد هونكه : " ويخيل إلينا ونحن نسمع ذلك أننا أمام أستاذ فى الطب فى عصرنا الحاضر ، أنه لأمر يدعو إلى الدهشة والعجب حين نرى ما توصل إليه الأطباء العرب من معلومات قيمة فى جسهم للنبض ، وفيما استخلصوه من نتائج وأسرار لدى تحليلهم للبول " (١٩٥).

وأخيراً ؛ فإنه ما من شك أن الطب المصرى فى العصر الفاطمى ، كان له دوره فى الحضارة العربية ، فهو جزء من الطب الذى مثل جانبًا مضيئًا فى هذه الحضارة التى كانت بمثابة الشعلة التى أضاءت مصابيح العلم فى شتى أنحاء العالم ، وقد كان الطب العربى ، هو الأساس الذى قام عليه الطب الأوروبى جملة وتفصيلاً ، فقد قام الأطباء العرب بوجه عام والمصريون بوجه خاص بنقل مصنفات الأوائل وشرحها والإضافة إليها ، وهذه الإنجازات العربية انتقلت بدورها إلى أوروبا ، فوجد فيها علماؤها منهلاً خصبًا ، أفادوا منها كثيراً فى إطار نهضتهم الحديثة .

الهوامش

١ – سمير يحيى الجمال : تاريخ الطب والصيدلة المصرية ، جـ٢ ، (فى العصر الإسلامى) ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٩٩م ، ص ٣٩ ، ٢١٦ – ٢١٨ . وللمزيد من التفاصيل عن الطب المصرى القديم والبرديات الطبية مثل بردية " إدوين سميث " التى يرجع تاريخها إلى سنة ١٥٥٠ق.م، ولاتزال محفوظة بالجمعية التاريخية بنيويورك " وهى من البرديات الشهيرة فى الطب المصرى ، قال عنها العالم " برستد " إنها أقدم كتاب للجراحة فى العالم ، وهى منقولة عن مؤلف أصلى يرجع إلى سنة ٣٠٠٠ق.م. انظر " بول غليونجى وزينب الدواخلى : الحضارة الطبية فى مصر الفرعونية ، القاهرة ١٩٦٥م ؛ محمد دياب : الطب والأطباء فى مختلف العهود الإسلامية ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ١٩٧٠م ؛ مختار وسمى ناشد : فضل الحضارة المصرية على العلوم ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٧٣م ، ص ٩٧ ومابعدها ؛ محمد شاكر مشعل : الدور العربى فى التراث العلمى ، جـ١ ، القاهرة ١٩٨٣م ، ص ١٢١ – ١٢٥ .

٢ – أحمد عيسى : معجم الأطباء ، القاهرة ، ١٣٦١هـ / ١٩٤١م ، ص ٣٧ ؛ صفى على محمد : الحركة العلمية والأدبية فى الفسطاط من الفتح العربى إلى نهاية الدولة الإخشيدية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ٢٠٠٠م ، ص ٦١٤ .

٣ – البلوى : سيرة أحمد بن طولون ، تحقيق محمد كرد على ، الهيئة العامة لقصور الثقافة ، ١٩٩٩م ، ص ٣٢١ ؛ ابن سعيد : المغرب فى حلى المغرب ، جـ١ ، القسم الخاص بمصر ، تحقيق زكى محمد حسن، سيدة إسماعيل كاشف ، شوقى ضيف ، القاهرة ، ١٩٥٣م ، ص ١٢٣ ؛ ابن أبى أصيبعة : عيون الأنباء فى طبقات الأطباء ، جـ١ ، دار الثقافة ، بيروت ، ط٣ ، ١٩٨١م ، ص ١٣٦ ؛ صفى على محمد : المرجع السابق ، ص ٦٠٣ – ٦٠٤ .

٤ – ابن أبى أصيبعة : المصدر السابق ، جـ٣ ، ص ١٤٠ – ١٤١ ؛ سمير يحيى الجمال : المرجع السابق ، جـ٣ ، ص ٣٢٧ .

٥ – ابن أبى أصيبعة : المصدر السابق ، جـ٣ ، ص ١٤١ ؛ سمير يحيى الجمال : المرجع السابق ، جـ٣ ، ص ٣٢٧ ؛ صفى على محمد : المرجع السابق ، ص ٦٠٤ .

٦ – ابن أبى أصيبعة : المصدر السابق ، جـ٣ ، ص ١٣٥ ؛ سمير يحيى الجمال : المرجع السابق ، جـ٣ ، ص ٣٢١ ؛ فاطمة مصطفى عامر : تاريخ أهل الذمة فى مصر الإسلامية (من الفتح العربى إلى نهاية العصر الفاطمى) ، جـ٢ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ٢٠٠٠م ، ص ٢٤٧ – ٢٤٨ .

٧ – ابن أبى أصيبعة : المصدر السابق ، جـ٣ ، ص ١٣٦ ؛ سمير يحيى الجمال : المرجع السابق ، جـ٣ ، ص ٣٢١ .

٨ – البلوى : المصدر السابق ، ص ٣٢٣ – ٣٢٥ ؛ ابن أبى أصيبعة : المصدر السابق ، جـ٣ ، ص ١٣٧ – ١٣٨ .

٩ – ابن أبى أصيبعة : المصدر السابق ، جـ٣ ، ص ١٣٩ .

١٠ – البلوى : المصدر السابق ، ص ٣٢٣ : صفى على محمد : المرجع السابق ، ص ٦٠٤ .

١١ – المسعودى : مروج الذهب ومعادن الجوهر ، تحقيق يوسف أسعد داغر ، دار الأندلس ، بيروت ، ١٩٨٢م ، جـ١ ، ص ٣٩٢ ؛ فاطمة مصطفى عامر : المرجع السابق ، جـ٢ ، ص ٢٤٨ .

١٢ – ابن جلجل : طبقات الأطباء والحكماء ، تحقيق فؤاد سيد ، مطبوعات المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية ، القاهرة ، ١٩٥٥م ، ص ٨٧ – ٨٨ ؛ ابن أبى أصيبعة : المصدر السابق ، جـ٣ ، ص ١٤١ ؛ صفى على محمد : المرجع السابق ، ص ٦٠٤ . وقد كان إسحق بن سليمان الإسرائيلى من أهل مصر، ثم سكن القيروان ، تتلمذ على إسحق بن عمران عندما التقى به فى القيروان ، ثم أصبح طبيب الإمام أبى محمد عبيد الله المهدى صاحب إفريقية ؛ وكان دخوله القيروان فى عهد زيادة الله بن الأغلب ، وتوفى فى حدود سنة (٣٢٠هـ / ٩٣٢م) . ابن أبى أصيبعة : المصدر السابق ، جـ٣ ، ص ٥٨ – ٥٩ ؛ محمد العربى الخطابى : الطب والأطباء فى الأندلس الإسلامية ، دراسة تراجم ونصوص ، جـ١ ، ط١ ، دار الغرب الإسلامى ، ١٩٨٨م ، ص ٤١ ؛ محمود الحاج قاسم محمد : انتقال الطب العربى إلى الغرب، معابره وتأثيره ، ط١ ، دار النفائس ، دمشق ، ١٩٩٩م ، ص ٦٨: جان شارل سورنيا : تاريخ الطب من فن المداواة إلى علم التشخيص ، ترجمة إبراهيم البجلاتى ، سلسلة عالم المعرفة ، الكويت ، مايو ٢٠٠٢م ، ص ٨١ .

١٣ – ابن جلجل : المصدر السابق ، ص ٨٢ ، ٩٦ ؛ القفطى : إخبار العلماء بأخبار الحكماء ، تحقيق جوليوس لايبرت ، ليبزج ، ١٩٠٣م ، ص ٣٣٧ : ابن أبى أصيبعة : المصدر السابق ، جـ٣ ، ص ١٤١ ؛ محمد العربى الخطابى : المرجع السابق ، جـ١ ، ص ٤٠ ؛ أحمد عبد اللطيف حنفى : الدور السياسى والحضارى للجاليات المغربية فى مصر الإسلامية من عصر الولاة حتى نهاية العصر الفاطمى ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب ، جامعة طنطا ، ١٩٨٧م ، ص ٤٩٣ .

١٤ – ابن أبى أصيبعة : المصدر السابق ، جـ٣ ،ص ١٤٢ – ١٤٣ ؛ السيوطى : حسن المحاضرة فى أخبار مصر والقاهرة ، جـ١ ، تحقيق خليل المنصور ، ط١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٩٧م، ص ٤٤٢ ؛ سمير يحيى الجمال : المرجع السابق ، جـ٣ ، ص ٣٢٣ – ٣٢٤ ؛ فاطمة مصطفى عامر : المرجع السابق ، جـ٢ ، ص ٢٤٢ – ٢٤٣ ؛ صفى على محمد : المرجع السابق ، ص ٦٠٤ .

١٥ – ابن جلجل : المصدر السابق ص ١١٥ ؛ المقرى : نفح الطيب من غصنَ الأندلس الرطيب ، وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب ، تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد ، ط١ ، القاهرة ، ١٩٤٩م ، جـ٢ ، ص ٣١٥ ، جـ٣ ، ص ١٣ ؛ أحمد عبد اللطيف : المرجع السابق ، ص ٤٩٤ ؛ أنخل جنثالث بالنثيا : تاريخ الفكر الأندلسى ، ترجمة حسين مؤنس ، ط١ ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٩٥٥م ، ص ٤٦١ .

١٦ – ابن الزيات : الكواكب السيارة فى ترتيب الزيارة فى القرافتين الكبرى والصغرى ، مكتبة المثنى ، بغداد (د.ت) ، ص ١١٩ ؛ أحمد عبد اللطيف : المرجع السابق ، ص ٤٩٤ .

١٧ – توجد نسخة مخطوطة من كتاب " البول " لإسحق بن سليمان الإسرائيلى بدار الكتب المصرية ، الخزانة التيمورية ، رقم ٣١١ طب .

١٨ – ابن جلجل : المصدر السابق ، ص ٨٧ ؛ ابن أبى أصيبعة : المصدر السابق ، جـ٣ ، ص ٥٨ – ٥٩ ؛ صفى على محمد : المرجع السابق ، ص ٦٠٨ . وتوجد نسخة مخطوطة من كتاب " الحميات " لإسحق بن سليمان ، على ميكروفيلم ، بمعهد المخطوطات العربية ، مكتبة أحمد الثالث ، رقم ١٠٩ طب .

١٩ – على بن رضوان : كتاب دفع مضار الأبدان بأرض مصر ، تحقيق عبد المجيد دياب ، مكتبة ابن قتيبة، الكويت ، ١٩٩٥م ، مقدمة التحقيق ، ص ٣٥ .

٢٠ – عيون الأنباء ، جـ٣ ، ص ١٤٨: سمير يحيى الجمال : المرجع السابق ، جـ٣ ، ص ٣٢٨ .

٢١ – ابن أبى أصيبعة : المصدر السابق ، جـ٣ ، ص ١٤٨ : سمير يحيى الجمال : المرجع السابق ، جـ٣ ، ص ١٤٨ .

٢٢ – ابن أبى أصيبعة : المصدر السابق ، جـ٣ ، ص ١٦٢ – ١٦٣ ؛ السيوطى : المصدر السابق ، جـ١ ، ص ٤٤٢ ؛ سمير يحيى الجمال : المرجع السابق ، ص ٣٢٨ .

٢٣ – القفطى : المصدر السابق ، ص ٤٤٣ – ٤٤٤ ؛ ابن أبى أصيبعة : المصدر السابق ، جـ٣ ، ص ١٦٤ – ١٦٥ ؛ ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ، جـ٥ ، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب ، ص ٩٦ ؛ سمير يحيى الجمال : المرجع السابق ، جـ٣ ، ص ٣٣٠ .

٢٤ – ابن أبى أصيبعة : المصدر السابق ، جـ٣ ، ص ١٤١ ، ١٦٦ : على بن رضوان : المصدر السابق ، مقدمة التحقيق ، (د.عبد المعبد دياب) ، ص ٣١ ؛ صفى على محمد : المرجع السابق ، ص ٦١٤ – ٦١٥ .

٢٥ – ابن أبى أصيبعة : المصدر السابق ، جـ٣ ، ص ١٧١ .

٢٦ – ابن أبى أصيبعة : المصدر السابق ، جـ٣ ، ص ١٧٠ – ١٧١ ؛ سمير يحيى الجمال : المرجع السابق، جـ٣ ، ص ٣٣٠ .

٢٧ – توجد نسخة مخطوطة من هذا الكتاب بدار الكتب المصرية ، برقم ١٥٠ طب .

٢٨ – صفى على محمد : المرجع السابق ، ص ٦٣٦ . وقد ذكر ابن أبى أصيبعة : ١٠٢ مؤلفًا من مؤلفات على بن رضوان الطبية ، غير أن ماكس مايرهوف يرى أن ما ذكره ابن أبى أصيبعة أقل مما صنفه ابن رضوان ، وأضاف إليها ثلاثة كتب أخرى هى : " شرح كتاب المربعة لبطليموس " الذى ذكره القفطى عند ترجمته لابن رضوان ، وكتاب " كفاية الطبيب فيما صح لدىً من التجاريب " . وهو مخطوط بمكتبة الفوطا ، تحت رقم ١٩٥٢ – ١ ؛ وكتاب " فيما يجب على الرئيس الفاضل من مصالح بدنه وأدب لبيبه وقهرمانه " وهو مخطوط بمكتبة الفوطا أيضًا تحت رقم ٢٠١٥ – ٣ . ماكس مايرهوف وجوزيف شاخت: خمس رسائل لابن بطلان وابن رضوان ، القاهرة ، ١٩٣٧م ، ص ٥٠ ؛ ابن رضوان : المصدر السابق ، مقدمة التحقيق ، ص ٤٨ ؛ وعن مؤلفات ابن رضوان انظر أيضًا ؛ القفطى : المصدر السابق ، ص ٤٤٣ – ٤٤٤ ؛ ابن أبى أصيبعة : المصدر السابق ، جـ٣ ، ص ١٦٧ – ١٧٤ .

٢٩ – ابن أبى أصيبعة : المصدر السابق ، جـ٣ ، ص ١٧٩ .

٣٠ – ابن رضوان : المصدر السابق ، مقدمة التحقيق ، ص ٣٦ .

٣١ – ابن أبى أصيبعة : المصدر السابق ، جـ٣ ، ص ١٧٩ – ١٨٠ .

٣٢ – ابن أبى أصيبعة : المصدر السابق ، جـ٣ ، ص ١٨٠ .

٣٣ – السيوطى : حسن المحاضرة ، جـ١ ، ص ٤٤٢ .

٣٤ – ابن أبى أصيبعة : المصدر السابق ، جـ٣ ، ص ١٨٠ – ١٨١ ؛ السيوطى : حسن المحاضرة ، جـ١ ، ص ٤٤٢ – ٤٤٣ .

٣٥ – عن أبقراط وجالينوس انظر : القفطى : المصدر السابق ، ص ٩٠ – ٩٤ ، ١٣٢ – ١٤٢ ؛ ابن أبى أصيبعة : المصدر السابق ، جـ٣ ، ص ٤١ – ٥٦ ، ١٠٨ – ١٥٤ ؛ محمد شاكر مشعل : المرجع السابق، ص ١٢١ – ١٢٣ ؛ جان شارل سورنيا : المرجع السابق ، ص ٤٦ – ٥٦ ، ٦٢ – ٦٤ .

٣٦ – القفطى : المصدر السابق ، ص ٢٦٧ – ٢٦٨ ؛ سلام شافعى : أهل الذمة فى مصر فى العصر الفاطمى الأول ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٩٥م ، ص ٨٢ : فاطمة مصطفى عامر : المرجع السابق ، جـ٢ ، ص ٢٥٠ .

٣٧ – ابن أبى أصيبعة : المصدر السابق ، جـ٣ ، ص ١٤٦ – ١٤٧ ؛ سمير يحيى الجمال : المرجع السابق، جـ٣ ، ص ٣٢٤ . وقد اعتقدت إحدى الباحثات أنه ابن الطبيب كيسان بن عثمان بن كيسان ، والواضح من الاسم أنه أخيه ، ويقول ابن أبى أصيبعة : إن جثمانه انتقل إلى دير القصير " فدفن هناك عند قبر أخيه كيسان بن عثمان بن كيسان ... " انظر ما ذكرته فاطمة مصطفى : تاريخ أهل الذمة ، جـ٢ ، ص ٢٥١ .

٣٨ – ابن أبى أصيبعة : المصدر السابق ، جـ٣ ، ص ١٤٢ ؛ سلام شافعى : المرجع السابق ، ص ٨٢ ؛ سمير يحيى الجمال : المرجع السابق ، جـ٣ ، ص ٣٢٥ .

٣٩ – القفطى : المصدر السابق ، ص ٣٣٤ – ٣٣٥ ؛ ابن العبرى : تاريخ مختصر الدول ، تحقيق الأب أنطوان صلحانى اليسوعى ، دار المشرق ، ط٣ ، ١٩٩٢م ، ص ١٨١ ؛ ابن أبى أصيبعة : المصدر السابق ، جـ٣ ، ص ١٤٧ .

٤٠ – القفطى : المصدر السابق ، ص ٢٨٥ .

٤١ – ابن أبى أصيبعة : المصدر السابق ، جـ٣ ، ص ١٤٧ ؛ المقريزى : اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا ، جـ٢ ، تحقيق محمد حلمى محمد أحمد ، القاهرة ، ١٩٧١م ، ص ٤٨ .

٤٢ – ابن أبى أصيبعة : المصدر السابق ، جـ٣ ، ص ١٤٨ ؛ المقريزى : المصدر السابق ، جـ٢ ، ص ٤٨ ، ٧٠ .

٤٣ – المقريزى : المصدر السابق ، جـ٢ ، ص ٧٠ ؛ سلام شافعى : المرجع السابق ، ص ٨٤ .

٤٤ – المقـريزى : الخطط ، جـ٢ ، ص ٨٠ ؛ اتعـاظ الحنفـا ، جـ٣ ، ص ١٥٤ ، ١٥٥ . لعل المقـصـود بالاستعمالات هنا التركيبات الكيميائية ، ويبدو أن ابن قرقة كان متخصصًا فيها ، وهى من متطلبات دور الديباج والسلاح والسروج ، وهو مـا جعل ابن تغرى بردى يقول : " وكـان ابن قـرقـة خـبـيـراً بالاستعمالات ذكيا " ابن تغرى بردى : المصدر السابق ، جـ٥ ، ص ٢٤٢ ؛ المقريزى : اتعاظ الحنفا ، جـ٣ ، تحقيق محمد حلمى ، ص ١٥٤ ، هامش ٢ .

٤٥ – ابن عبد الظاهر : الروضة البهية الزاهرة فى خطط المعزية القاهرة ، تحقيق أيمن فؤاد سيد ، ط١ ، مكتبة الدار العربية للكتاب ، القاهرة ١٩٦٦م ، ص ١٠٩ : المقريزى : الخطط ، جـ٢ ، ص ٦٣ .

٤٦ – المقريزى : المصدر السابق ، جـ٢ ، ص ٦٣ .

٤٧ – ابن ميسر : المنتقى من أخبار مصر ، انتقاه المقريزى ، تحقيق أيمن فؤاد سيد ، المعهد العلمى الفرنسى للآثار الشرقية ، القاهرة ، (د.ت) ، ص ١٢٢ ؛ المقريزى : الخطط ، جـ٢ ، ص ١٨ ، ٦٣ ؛ اتعاظ الحنفا ، جـ٣ ، ص ١٥٣ – ١٥٥ ؛ ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ، جـ٥ ، ص ٢٤٢ – ٢٤٣ . وقد ذكر ابن تغرى بردى أن الطبيبين كانا يهوديين ، بينما أورد ابن الأثير رواية مقتل حسن بن الحافظ وذكر أن أحد الطبيبين كان يهوديًا وهو الذى رفض عمل النسم ، بينما كان الآخر مسلمًا وهو الذى قام بإعداده ، ولم يذكر اسميهما . ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، جـ١١ ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٧٩م ، ص ٢٢ – ٢٣ .

٤٨ – ابن ميسر : المصدر السابق ، ص ١٢٢ ، المصدر السابق ، جـ١١ ، ص ٢٣ ؛ المقريزى : الخطط ، جـ٢ ، ص ١٨ ؛ اتعاظ الحنفا ، جـ٣ ، ص ١٥٥ ؛ ابن تغرى بردى : المصدر السابق ، جـ٥ ، ص ٢٤٣ – ٢٤٤ ؛ سلام شافعي : أهل الذمة فى مصر فى العصر الفاطمى الثانى والعصر الأيوبى ، دار المعرفة، القاهرة ، ١٩٨٢م ، ص ١٠١ .

- Mourice Fargon : Les Juifs En Egypte Sepuis Les Origines Jusquace Jour, Le Caire, 1936, pp. 120 - 121 .

ويذكر ابن عبد الظاهر أن أبو سعيد بن قرقة باع الدار والحمام إلى جهة علم السعداء ثم سكنها الكامل بن شاور ؛ ولعل الأملاك التى استولى عليها الخليفة وأمر بإرجاعها إلى الديوان ، منشآت أخرى غيرهما، كما يستفاد من ما ذكره ابن عبد الظاهر أن ابن قرقة أدرك موقف الخليفة منه وتخلص من بعض أملاكه بالبيع . ابن عبد الظاهر : المصدر السابق ، ص ١٠٩ ؛ المقريزى : الخطط ، جـ٢ ، ص ٦٣ .

٤٩ – سعيد الديوة جى : الموجز فى الطب الإسلامى ، ط١ ، الكويت ١٩٨٩م ، ص ٥٣ ؛ سليمان قاطنة : الطب العربى ، مجلة عالم الفكر ، جـ١٠ ، ع٢ ، يوليو – أغسطس – سبتمبر ، الكويت ١٩٧٩م ، ص ٢٧٨ . يقول مارتن بلسنر : إن الاشتغال بالعلوم الإسلامية ، لم يقتصر على المسلمين ، إذ استمر النصارى واليهود يسهمون فى هذه العلوم إسهاماً نشطًا ، لدرجة أن كتاب " ينبوع الحياة " لابن جبرول

(سليمان بن يحيى ت : ٤٥٠هـ / ١٠٥٨م) كان يظن حتى القرن التاسع عشر أنه من تأليف عالم مسلم ، حتى كشف سالومون مونك (S.Munk) المستشرق الالماني عن هوية هذا المؤلف اليهودى الأندلسى ؛ كذلك فإن المؤلفات التى وضعها إسحق بن سليمان الإسرائيلى ، وموسى بن ميمون (ت ٦٠١هـ / ١٢٠٤م) لا تختلف عن أعمال الأطباء المسلمين . ويعزو بلسنر هذا التشابه إلى وجود تفاعل بين الأديان فى العلم الإسلامى لا تقل عما كان فى ذلك العلم من تفاعل بين القوميات ، على حد قوله ، ويرى أن العلم ربما كان أقل الميادين الثقافية خضوعًا لعملية " الصبغ بالصبغة الإسلامية " . كما يدعى أن هناك عداء من جانب المذهب السنى الرسمى لعلوم الأوائل ، وأن هذا العداء ظل صفة مميزة للإسلام، فقد كان أهل السنة المسلمون يرون أن كل علم لا ينبع من القرآن ، لا يعتبر عقيمًا فحسب ، بل يعتبر أيضًا الخطوة الأولى على الطريق المفضى إلى الزندقة . (جوزيف شاخت وكليفورد بوزورث : تراث الإسلام ، جـ٢ ، ترجمة حسين مؤنس وإحسان صدقى العمد ، ط٢ ، سلسلة عالم المعرفة ، الكويت، يونيو ، ١٩٩٨م ، ص ١٤٢) . والواقع أن هذه الادعاءات أبعد ما تكون عن الصواب ، فإن الإسلام يحث على الاستزادة من كل علم يفيد المجتمع ، ومن أى مصدر كان ، " خذ الحكمة ولا تضرك من أى وعاء خرجت " ، ولقد كان المسلمون يقبلون على النقل من الأوائل على الرغم من اختلاف الأمم والنحل ، وما كان ذلك إلا نتيجة لمرونة الفكر العربى ، وتعطشه الشديد للعلم والمعرفة ، وكثرة الآيات القرآنية والأحاديث النبوية التى تحض المؤمنين على العلم ، فجعلت من العرب محركًا تجتمع فيه أنوار العلم والمعرفة من كل البلاد والعقليات ، فأصبحت العقلية العربية نتاج تفاعل كل هذه العقليات والمعارف؛ وهناك أمثلة عديدة لتسامح الخلفاء العباسيين السنيين مع الأباء والعلماء النصارى والصابئة والبراهمة واليهود والمجوس وغيرهم ، ولهم مطلق الحرية فى الاعتقاد والرأى ، وفى تأدية شعائرهم الدينية . انظر تفاصيل ذلك : سعيد الديوه جى : الموجز فى الطب الإسلامى ، ص٥٣ ، والملحق الثالث فى نفس المرجع بعنوان " سماحة المسلمين مع الأطباء غير المسلمين " ، ص ١١٧ – ١٢٠ : سليمان قطانه : المرجع السابق ، ص ٢٨٦ . وهناك دراسة قيمة قدم فيها الدكتور رشيد الجميلى رؤية واضحة لحركة الترجمة والنقل التى قام بها العرب فى العصر الأموى ونشطت نشاطًا ملحوظًا فى العصر العباسى ، مبينًا مراحل هذه الحركة وعوامل ازدهارها وتطورها ، وأهم أعلامها ، ومراكزها ومدارسها. رشيد الجميلى: حركة الترجمة والنقل فى المشرق الإسلامى فى القرنين الأول والثانى للهجرة ، منشورات جامعة قاريونس ، بنغازى (د.ت) .

٥٠ – قاسم عبده قاسم : اليهود فى مصر ، دار الشرق ، القاهرة ، ط١ ، ١٩٩٣م ، ص ٩ ، ٨٧ .

٥١ – ابن أبى أصيبعة : المصدر السابق ، جـ٣ ، ص ١٤١ – ١٤٢ ؛ قاسم عبده قاسم : المرجع السابق ، ص٩٢ ؛ سلام شافعى : أهل الذمة فى مصر فى العصر الفاطمى الأول ، ص ٨٢ ؛ فاطمة مصطفى عامر : المرجع السابق ، جـ٢ ، ص ٢٥٠ .

٥٢ – ابن أبى أصيبعة : المصدر السابق ، جـ٣ ، ص ١٤٢ .

٥٣ – المقريزى : الخطط ، جـ٢ ، ص ٣٤٢ ؛ اتعاظ الحنفا ، جـ٢ ، ص ٥٣ ، ٥٥ .

٥٤ – المقريزى : اتعاظ الحنفا ، جـ٢ ، ص ٧٣ ، ٨٣ ؛ سلام شافعى محمود : المرجع السابق ، ص ٨٤ .

٥٥ – القفطى : المصدر السابق ، ص ١٧٨ ؛ ابن العبرى : المصدر السابق ، ص ١٨١ – ١٨٢ ؛ ابن أبى أصيبعة : المصدر السابق ، جـ٣ ، ص ١٤٧ – ١٤٨ .

٥٦ – ابن أبى أصيبعة : المصدر السابق ، جـ٣ ، ص ١٧٤ .

٥٧ – ابن أبى أصيبعة : المصدر السابق ، جـ٣ ، ص ١٧٤ – ١٧٥ ؛ فاطمة مصطفى عامر : المرجع السابق، جـ٢ ، ص ٢٥٢ .

٥٨ – فاطمة مصطفى عامر : المرجع السابق ، جـ٢ ، ص ٢٥٢ ؛

The Jewish Encyclopedia, Vol. V, New York, London, 1903, p. 62 .

* – كناش وتجمع على كنانيش ، وهو ما لم يتعدد أسفاره من المصنفات : والكناش فى الطب يطلق على سفر يضم معلومات تتعلق بعلاج شتى العلل ، يرجع إليه الطبيب عند الحاجة على سبيل التذكرة ، ويطلق الكناش أيضاً فى بلاد الغرب الإسلامى على سجل يقيد فيه صاحبه فوائد ومعلومات وتواريخ وغيرها ينقلها من هنا وهناك . محمد العربى الخطابى : المرجع السابق ، جـ٢ ، ص ٣٥ هامش ٤ .

٥٩ – ابن أبى أصيبعة : المصدر السابق ، جـ٣ ، ص ١٧٥ . الحسن بن الحسين بن حمدان ، الملقب بالأمير أبو محمد ناصر الدولة التغلبى ذو المجدين ، دخل مصر فى عصر الخليفة المستنصر بالله (٤٢٧ – ٤٨٧هـ / ١٠٣٥ – ١٠٩٤م) قادماً من حلب ، وقوى أمره ، فاستولى عليها ولقب نفسه بسلطان الجيوش، قتل سنة ٤٦٥هـ / ١٠٧٢م . (ابن تغرى بردى : المصدر السابق ، جـ٥ ، ص ٢١ – ٢٢ ، ٩٠ – ٩١) . وعن تلك الأحداث التى وقعت فى عصر الخليفة المستنصر ، انظر : ابن ميسر : المصدر السابق، ص ٣٨ ؛ المقريزى : الخطط ، جـ١ ، ص ٣٣٦ – ٣٣٧ ؛ اتعاظ الحنفا ، جـ٢ ، ص ٣٠٦ ؛ مصطفى على دويدار : جزيرة الروضة منذ الفتح الإسلامى حتى نهاية حكم المماليك ، رسالة دكتوراة غير منشورة ، كلية الآداب ، جامعة طنطا ، ٢٠٠١ م ، ص ١٠٥ – ١٠٨ .

٦٠ – ابن أبى أصيبعة : المصدر السابق ، جـ٣ ، ص ١٧٥ .

٦١ – ابن أبى أصيبعة : المصدر السابق ، جـ٣ ، ص ١٧٥ – ١٧٦ ؛ القفطى : المصدر السابق ، ص ١٤٢ ؛ ابن العبرى : المصدر السابق ، ص ٢٠٠ .

٦٢ – ابن أبى أصيبعة : المصدر السابق ، جـ٣ ، ص ١٧٧ .

٦٣ – أبو صالح الأرمنى : تاريخ الشيخ أبى صالح ، المطبعة المدرسية ، أكسفورد ، ١٨٩٤م ، ص ٥٤ .

٦٤ – المقريزى : الخطط ، جـ١ ، ص ٤١١ .

٦٥ – ابن أبى أصيبعة : المصدر السابق ، جـ٣ ، ص ١٩٠ – ١٩١ ؛ عطية القوصى : صلاح الدين واليهود، المجلة التاريخية المصرية ، مج ٢٤ ، ١٩٧٧ ، ص ٤٤ – ٤٥ .

٦٦ – ابن أبى أصيبعة : المصدر السابق ، جـ٣ ، ص ١٩٢ .

٦٧ – ابن أبى أصيبعة : المصدر السابق ، جـ٣ ، ص ١٨٦ – ١٩٠ ؛ عطية القوصى : المرجع السابق ، ص٤٤.

٦٨ – ابن أبى أصيبعة : المصدر السابق ، جـ٣ ، ص ١٩٤ .

٦٩ – ابن أبى أصيبعة : المصدر السابق ، جـ٣ ، ص ١٩١ .

٧٠ – ابن أبى الصلت : الرسالة المصرية ، ضمن كتاب نوادر المخطوطات ، تحقيق عبد السلام هارون ، سلسلة النخائر ، الهيئة العامة لقصور الثقافة ، القاهرة ٢٠٠١ م ، ص٤٠ .

٧١ – ابن سعيد : المغرب فى حلى المغرب ، جـ١ ، الخاص بمصر ، ص ٢٨ .

٧٢ – ابن أبى الصلت : المصدر السابق ، ص ٤١ .

٧٣ – ابن أبى أصيبعة : المصدر السابق ، جـ٣ ، ص ١٨٢ .

٧٤ – محمد شاكر مشعل : المرجع السابق ، جـ١ ، ص ٧٦ – ٩١ .

٧٥ – ابن أبى أصيبعة : المصدر السابق ، جـ٣ ، ص ٢٣٩ ؛ ابن بطلان : رسالة فى شرى الرقيق وتقليب العبيد ، تحقيق عبد السلام هارون ، سلسلة نوادر المخطوطات ، الهيئة العامة لقصور الثقافة ، القاهرة، ٢٠٠١م ، مقدمة التحقيق ، ص ٢٧٣ : محمد شاكر مشعل : المرجع السابق ، جـ١ ، ص ١٥٢ .

٧٦ – القفطى : المصدر السابق ، ص ١٠٥ ؛ ابن أبى أصيبعة : المصدر السابق ، جـ٣ ، ص ١٤٣ – ١٤٤ ؛ السيوطى : المصدر السابق ، جـ١ ، ص ٤٤٢ .

٧٧ – القفطى : المصدر السابق ، ص ١٠٦ ؛ ابن أبي أصيبعة : المصدر السابق ، جـ٣ ، ص ١٤٤ .

٧٨ – ابن العبرى : المصدر السابق ، ص ١٧٤ – ١٧٥ . وانظر أيضًا ، القفطى : المصدر السابق ، ص ١٠٦ .

٧٩ – ابن أبى أصيبعة : المصدر السابق ، جـ٣ ، ص ١٤٧ : محمد شاكر مشعل : المرجع السابق ، جـ١ ، ص ١٤٤ .

٨٠ – ابن أبى أصيبعة : المصدر السابق ، جـ٣ ، ص ١٤٣ : سمير يحيى الجمال : المرجع السابق ، جـ٣ ، ص ٣٢٧ .

٨١ – ابن أبى أصيبعة : المصدر السابق ، جـ٣ ، ص ١٤٩ ؛ ابن العبرى : المصدر السابق ، ص ١٨٢ ؛ عبد المنعم ماجد : امرأة مصرية تتزعم مظاهرة فى عهد الخليفة المستنصر بالله الفاطمى ، المجلة التاريخية المصرية ، مج ٢٤ ، ١٩٧٧ ، ص ٣٤ ؛ عبد الحميد إ. صبرا : أبو على الحسن بن الحسين بن الهيثم الخازن ، مقالة ضمن كتاب (عبقرية الحضارة العربية ، منبع النهضة الأوروبية) ، ترجمة عبد الكريم محفوظ ، ط١ ، الدار الجماهيرية ، للنشر والتوزيع والإعلان ، بنغازى ، ١٩٩٠م ، ص ٢٣٣ .

٨٢ – ابن أبى أصيبعة : المصدر السابق ، جـ٣ ، ص ١٤٩ .

٨٣ – ابن أبى أصيبعة : المصدر السابق ، جـ٣ ، ص ١٥٨ .

٨٤ – محمد شاكر مشعل : المرجع السابق ، جـ١ ، ص ١٩٨ .

٨٥ – ابن أبى أصيبعة : المصدر السابق ، جـ٢ ، ص ٢٣٨ – ٢٣٩ .

٨٦ – ابن أبى أصيبعة : المصدر السابق ، جـ٢ ، ص ٢٣٨ – ٢٣٩ ؛ ابن العبرى : المصدر السابق ، ص ١٩٠ ؛ سامى حمارنه : الصناعة الطبية فى العصر الإسلامى الذهبى ، مجلة عالم الفكر ، مج ١٠ ،

ع٢، يوليو – أغسطس – سبتمبر ، ١٩٧٩م ، الكويت ، ص ٥٩٥ ؛ أندريه ريمون : القاهرة تاريخ حاضرة ، ترجمة لطيف فرج ، ط١ ، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع ، القاهرة ١٩٩٤م ، ص ٤٧.

٨٧ – ابن أبي أصيبعة : المصدر السابق ، جـ٢ ، ص ٢٣٩ .

٨٩ – ابن أبي أصيبعة : المصدر السابق ، جـ٢ ، ص ٢٤٠ ؛ جـ٣ ، ص ١٦٧ .

٨٩ – القفطي : المصدر السابق ، ص ٢٩٤ ؛ ابن العبري : المصدر السابق ، ص ١٩٠ .

٩٠ – ابن أبي أصيبعة : المصدر السابق ، جـ٢ ، ص ٢٤٢ .

٩١ – ابن بطلان : رسالة في شرى الرقيق ، تحقيق عبد السلام هارون ، مقدمة التحقيق ، ص ٣٧٥ .

٩٢ - القفطي : المصدر السابق ، ص ١٩٥ – ٢٠٧ ؛ ابن أبي أصيبعة : المصدر السابق ، جـ٢ ، ص ٢٤١ – ٢٤٢ ؛ ابن العبري : المصدر السابق ، ص ١٩٠ – ١٩٢ .

٩٣ – ابن بطلان : رسالة في شرى الرقيق ، تحقيق عبد السلام هارون ، مقدمة التحقيق ، ص ٣٧٦ – ٣٧٧؛ سامي حمارنه : المرجع السابق ، ص ٣١١ – ٣١٢ .

٩٤ – ابن أبي أصيبعة : المصدر السابق ، جـ٢ ، ص ٢٤٢ .

٩٥ – ابن أبي الصلت : الرسالة المصرية ، ص٤٢ – ٤٣ ؛ القفطي : المصدر السابق ، ص ١٥٧ – ١٥٨ ؛ ابن أبي أصيبعة : المصدر السابق ، جـ٢ ، ص ١٧٦ – ١٧٧ ؛ سلام شافعي : أهل الذمة في مصر في العصر الفاطمي الثاني والعصر الأيوبي ، ص ٩٩ – ١٠٠ .

٩٦ – ابن أبي أصيبعة : المصدر السابق ، جـ٢ ، ص ١٧٨ . عين زربة : وردت في معجم البلدان " عين زربى " ، ويجوز أنها من زرب الغنم ، وهو مأواها – هو بلد بالثغر من نواحي المصيصة إحدى المدن الواقعة على شاطىء جيحان من ثغور الشام ، بين إنطاكية وبلاد الروم، بالقرب من طرسوس . ياقوت الحموي : معجم البلدان ، جـ" ، طبعة ويستنفلد ، ليبتسيك ، ١٨٦٦م ، ص ٧٦١ .

٩٧ – سامي حمارنه : الطبيب العربي ابن العين زربي وأبحاثه في العلل والعلاج ، بحث ضمن أبحاث الندوة العالمية الأولى لتاريخ علوم العرب ، جـ١ ، معهد التراث العلمي العربي ، حلب ، ١٩٧٧م ، ص ٦٤٢؛ الصناعة الطبية ، المرجع السابق ، ص ١٥٤ – ١٥٥ .

٩٨ – ابن أبي أصيبعة : المصدر السابق ، جـ٣ ، ص ١٧٩ . وهناك عدد من الدراسات القيمة حول " كتاب الكافي في الطب " انظر : سامي حمارنه : الطبيب العربي ابن العين زربي ، مرجع سابق ، ص ٦٤١ – ٦٨٠ ؛ الصناعة الطبية ، ص ٣١٥ ؛ محمد شاكر مشعل : المرجع السابق ، جـ١ ، ص ١٥٥ – ١٥٦ .

٩٩ – ابن أبي أصيبعة : المصدر السابق ، جـ٣ ، ص ١٧٩ .

١٠٠ – سامي حمارنه : الطبيب العربي ابن العين زربي ، مرجع سابق ، ص ٦٤٢ .

١٠١ – ابن أبي أصيبعة : المصدر السابق ، جـ٣ ، ص ١٨٢ .

١٠٢ – القفطي : المصدر السابق ، ص ٧٤ – ٧٥ ؛ ابن أبي أصيبعة : المصدر السابق ، جـ٣ ، ص ١٤٤ ؛ أحمد عبد اللطيف حنفي : المرجع السابق ، ص ٥٩٠ .

١٠٣ – محمود الحاج قاسم : انتقال الطب العربي إلى الغرب ، ص ٩٥ .

١٠٤ – ابن سعيد : المغرب فى حلى المغرب ، جـ١ ، تحقيق شوقى ضيف ، ص ١٢٨ – ١٣٠ .

١٠٥ – ابن أبى أصيبعة : المصدر السابق ، جـ٣ ، ص ١٠٣ – ١٠٤ ؛ محمود الحاج قاسم : المرجع السابق ، ص ٧٤ – ٧٥ ، ٨٨ ؛ أحمد عبد اللطيف حنفى : المرجع السابق ، ص ٥٩٢ .

١٠٦ – ابن أبى أصيبعة : المصدر السابق ، جـ٣ ، ص ١٠٤ – ١٠٦ ؛ محمود الحاج قاسم : المرجع السابق ، ص ٧٥ .

١٠٧ – المقريزى : اتعاظ الحنفا ، جـ٣ ، ص ٩٤ ؛ أحمد عبد اللطيف حنفى : المرجع السابق ، ص ٥٩٢ .

١٠٨ – المقريزى : المصدر السابق ، جـ٣ ، ص ٩٥ .

١٠٩ – ابن أبى أصيبعة : المصدر السابق ، جـ٣ ، ص ٨٣ – ٨٤ .

١١٠ – ابن أبى الصلت : الرسالة المصرية ، تحقيق عبد السلام هارون ، مقدمة التحقيق ، ص ١٢ .

١١١ – ابن أبى الصلت : المصدر السابق ، ص ٣٧ .

١١٢ – ابن أبى أصيبعة : المصدر السابق ، جـ٣ ، ص ٨٦ ؛ مقدمة تحقيق الرسالة المصرية ، ص ١٢ ؛ أحمد عبد اللطيف حنفى : المرجع السابق ، ص ٥٩٦ .

١١٣ – ابن أبى أصيبعة : المصدر السابق ، جـ٣ ، ص ١٠٠ .

١١٤ – مقدمة تحقيق الرسالة المصرية ، ص ١٢ .

١١٥ – ابن أبى الصلت : المصدر السابق ، ص ٤٢ .

١١٦ – ابن العبرى : المصدر السابق ، ص ٢٠٠ .

١١٧ – ابن أبى الصلت : المصدر السابق ، ص ٤٠ .

١١٨ – ابن أبى الصلت : المصدر السابق ، ص ٤٠ ؛ أحمد عبد اللطيف : المرجع السابق ، ص ٥٩١ .

١١٩ – ابن أبى أصيبعة : المصدر السابق ، جـ٣ ، ص ١٠٠ .

١٢٠ – القلقشندى : صبح الأعشى فى صناعة الإنشا ، جـ٣ ، تحقيق محمد حسين شمس الدين ، ط١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ص ٥٦٩ .

١٢١ – ابن أبى أصيبعة : المصدر السابق ، جـ٣ ، ص ١٤٦ ، ١٧٨ ، ١٨٠ ، ١٨١ – ١٨٢ ، ١٨٣ ؛ سلام شافعى : أهل الذمة فى مصر فى العصر الفاطمى الثانى والعصر الأيوبى ، ٩٨ .

١٢٢ – ابن أبى أصيبعة : المصدر السابق ، جـ٣ ، ص ١٤١ – ١٤٢ ؛ المقريزى : اتعاظ الحنفا ، جـ١ ، ص ١٩٩ ؛ فاطمة مصطفى عامر : المرجع السابق ، ص ٢٤٩ ، ٢٥٠ .

١٢٣ – القفطى : المصدر السابق ، ص ٣٣٤ – ٣٣٥ ؛ ابن العبرى : المصدر السابق ، ص ١٨١ ؛ سلام شافعى : أهل الذمة فى مصر فى العصر الفاطمى الأول ، ص ٣١ .

١٢٤ – ابن أبى أصيبعة : المصدر السابق ، جـ٣ ، ص ١٤٦ – ١٤٧ .

١٢٥ – ابن أبى أصيبعة : المصدر السابق ، جـ٣ ، ص ١٤٨ .

١٢٦ – المقريزى : اتعاظ الحنفا ، جـ٢ ، ص ٤٨ ، ٧٠ ؛ سلام شافعى : أهل الذمة فى مصر فى العصر الفاطمى الأول ، ص ٨٣ .

١٢٧ – ابن حجر السعقلانى : رفع الأصر عن قضاة مصر ، القسم الثانى ، تحقيق حامد عبد المجيد ، القاهرة ، ١٩٦١م ، ص ٣٦٢ – ٣٦٣ ؛ سلام شافعى : المرجع السابق ، ص ٨٤ .

١٢٨ – ابن أبى أصيبعة : المصدر السابق ، جـ٣ ، ص ١٨١ .

١٢٩ – ابن أبى أصيبعة : المصدر السابق ، جـ٣ ، ص ١٦٦ .

١٣٠ – ابن أبى أصيبعة : المصدر السابق ، جـ٣ ، ص١٧٨ .

١٣١ – المقريزى : اتعاظ الحنفا ، جـ٣ ، ص ٩٤ – ٩٥ ؛ محمد ماهر حمادة : الوثائق السياسية والإدارية للعهود الفاطمية والأتابكية والأيوبية (دراسة نصوص) ، ط١ ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٩٨٠م ، ص ١٧٣ – ١٧٤ .

١٣٢ – ابن أبى أصيبعة : المصدر السابق ، جـ٣ ، ص ١٨٠ – ١٨١ ، ١٨٣ .

١٣٣ – القفطى : المصدر السابق ، ص ١٠٩ ؛ ابن أبى أصيبعة : المصدر السابق ، جـ٣ ، ص ١٤٤ .

١٣٤ – ابن أبى أصيبعة : المصدر السابق ، جـ٣ ، ص ١٦٣

١٣٥ – القفطى : المصدر السابق ، ص ٣٦٩ .

١٣٦ – ابن أبى الصلت : المصدر السابق ، ص ٤١

١٣٧ – القفطى : المصدر السابق ، ص ٢٩٠ – ٣١٥ .

١٣٨ – القفطى : المصدر السابق ، ص ٢٩٠ .

١٣٩ – ابن أبى أصيبعة : المصدر السابق ، جـ٣ ، ص ١٦٧ .

١٤٠ – القفطى : المصدر السابق ، ص ٣١٣ .

١٤١ – ابن أبى أصيبعة : المصدر السابق ، جـ٢ ، ص ٢٣٩ – ٢٤٠ .

١٤٢ – ابن أبى أصيبعة : المصدر السابق ، جـ٢ ، ص ٢٣٩ .

١٤٣ – ابن رضوان : دفع مضار الأبدان ، مقدمة التحقيق ، ص ٣٣ .

١٤٤ – ابن أبى أصيبعة : المصدر السابق ، جـ٣ ، ص ١٦٧ – ١٦٩ .

١٤٥ – القفطى : المصدر السابق ، ص ٣٠٠ – ٣٠١ .

١٤٦ – القفطى : المصدر السابق ، ص ٣٠٢ .

١٤٧ – ابن أبى أصيبعة : المصدر السابق ، جـ٣ ، ص ١٧٣ ، ١٧٤ . ذكرت زيغريد هونكه ، أن ابن رضوان كان يحلو له أن يهاجم غريمه فى كل آن وحين ، فكتب مرة " جهل ابن رضوان معرفة بالنسبة إلى ابن بطلان ومرة أخرى " ابن بطلان يعجز عن قراءة مخطوطاته ذاتها " أو " رسالة إلى أطباء القاهرة عن الجديد لابن بطلان " وهكذا دواليك . زيغريد هونكه : شمس العرب تسطع على الغرب " أثر

الحضارة العربية فى أوروبة " ، نقله عن الألمانية ، فاروق بيضون وكمال دسوقى ، بيروت ، ٢٠٠٠ ، ص ٢٨٧ .

١٤٨ – ابن أبى أصيبعة : المصدر السابق ، جـ٢ ، ص ٢٣٩ .

١٤٩ – ابن فكرى براى : المصدر السابق ، جـ٥ ، ص ٦٩ .

١٥٠ – القفطى : المصدر السابق ، ص ٤٤٤ .

١٥١ – ابن رضوان : دفع مضار الأبدان ، ص ١٠١ – ١٠٢ .

١٥٢ – القفطى : المصدر السابق ، ص ٤٤٤ .

١٥٣ – ابن رضوان : المصدر السابق ، ص ١٤٣ – ١٥١ .

١٥٤ – ابن أبى أصيبعة : المصدر السابق ، جـ٣ ، ص ١٧١ ، ١٧٢ ، ١٧٣ ، ١٧٤ .

١٥٥ – ابن أبى أصيبعة : المصدر السابق ، جـ٣ ، ص ١٠٦ .

١٥٦ – ابن أبى أصيبعة : المصدر السابق ، جـ٣ ، ص ١٠٠ .

١٥٧ – ابن أبى الصلت : الرسالة المصرية ، ص ٣٦ ، ٣٧ .

١٥٨ – ابن أبى الصلت : المصدر السابق ، ص ٤١ – ٤٢ ؛ القفطى : المصدر السابق ، ص ٢٠٩ – ٢١١ ؛ ابن أبى أصيبعة : المصدر السابق ، جـ٣ ، ص ١٧٦ .

١٥٩ – راجع ما تقدم عن ابن حسداى فى هذا البحث .

١٦٠ – جورجى زيدان : تاريخ التمدن الإسلامى ، جـ٣ ، دار الهلال ، القاهرة (د.ت) ، ص ٢٠٨ .

١٦١ – ابن دقماق : الانتصار لواسطة عقد الأمصار ، جـ٤ ، تحقيق لجنة إحياء التراث ، دار الآفاق الجديدة ، بيروت ، (د.ت) ، ص ٩٩ ؛ المقريزى : الخطط ، جـ٢ ، ص ٢٠٦ .

١٦٢ – ابن دقماق : المصدر السابق ، الجزء والصفحة ؛ المقريزى . المصدر السابق ، جـ٢ ، ص ٢٠٥ – ٢٠٦ .

١٦٣ – المقريزى : المصدر السابق ، جـ٢ ، ص ٢٠٦ .

١٦٤ – ابن دقماق : المصدر السابق ، الجزء والصفحة . كانت وظيفة الخازن من وظائف البلاط فى العصر الإخشيدى ، وصاحبها يتولى أمر خزانة الأمير ويشرف على ما فى قصره ، بالإضافة إلى إدارة ممتلكاته الخاصة وهو يشبه صاحب بيت المال فى العصر الفاطمى والخازندار فى العصر المملوكى ، وقد شغل أبو بكر محمد بن عبد الله الخازن هذه الوظيفة فى عهد الإخشيد نفسه ، وكان له عدد من الأعوان والمساعدين ، وذكر الشيخ أبو صالح الأرمنى أن محمد الخازن فتح إبريم من بلاد النوبة فى أيام كافور ، وكانت وفاته سنة ٣٥٨هـ / ٩٦٩م . أبو صالح الأرمنى : تاريخ الشيخ أبى صالح ، ص ١٢٢ ؛ ابن دقماق : المصدر السابق ، جـ٤ ، ص ٦٨ ؛ ابن ظهيرة : الفضائل الباهرة فى محاسن مصر والقاهرة ، تحقيق مصطفى السقا وكامل المهندس ، مطبعة دار الكتب ، القاهرة ، ١٩٦٩م ، سيدة إسماعيل كاشف : مصر فى عصر الإخشيديين ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ١٩٨٩م ، ص ١٥١ ؛ مصطفى نويدار : جزيرة الروضة ، ص ٢٠٥ – ٢٠٦ .

١٦٥ – ابن دقماق : المصدر السابق ، جـ٤ ، ص ٩٩ .

١٦٦ – ابن دقماق : المصدر السابق ، الجزء والصفحة .

١٦٧ – ابن جلجل : طبقات الأطباء ، ص ١١٥ .

١٦٨ – ابن أبى الصلت : الرسالة المصرية ، ص ٤٠ .

١٦٩ – القلقشندى : صبح الأعشى ، جـ٣ ، ص ٥٦٩ .

١٧٠ – ابن أبى أصيبعة : المصدر السابق ، جـ٣ ، ص ١٨١ .

١٧١ – ابن أبى أصيبعة : المصدر السابق ، جـ٣ ، ص ١٩١ .

١٧٢ – ابن أبي أصيبعة : المصدر السابق ، الجزء والصفحة .

١٧٣ – ابن أبى أصيبعة : المصدر السابق ، الجزء والصفحة .

١٧٤ – رشيد الجميلى : الحضارة الإسلامية وآثارها فى الحضارة الأوروبية ، منشورات جامعة قاريونس ، بنغازى ، (د.ت) ، ص ١٦٤ .

١٧٥ – سعيد عاشور : المدينة الإسلامية وأثرها فى الحضارة الأوروبية ، دار النهضة العربية ، القاهرة ،١٩٦٣م ، ص ١٥٣ ؛ رشيد الجميلى : المرجع السابق ، ص ١٦٤ ؛ زيغريد هونكه : شمس العرب تسطع على الغرب ، ص ٢٤٣ – ٢٤٤ .

١٧٦ – محمود الحاج قاسم : انتقال الطب العربى إلى الغرب ، ص ٥٠ – ٥١ ، ١٠٢ – ١٠٣ ؛ كمال السامرائى : مختصر تاريخ الطب ، ط١ ، الدار الوطنية للتوزيع ، بغداد ، ١٩٨٤م ، جـ١ ، ص ٦٤٧ – ٦٤٩ ، جـ٢ ، ص ٢١٩ – ٢٢١ ؛ زيغريد هونكه : المرجع السابق ، ص ٢٩٣ – ٢٩٤ ؛ غوستاف لوبون : حضارة العرب ، ترجمة عادل زعيتر ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ٢٠٠٠ م ، ص ٤٩٣ .

١٧٧ – زيغريد هونكه : المرجع السابق ، ص ٢٩٣ ؛ جوزيف شاخت وكليفورد بوزورث : تراث الإسلام ، جـ٢ ، ص ١٦٥ .

١٧٨ – زيغريد هونكه : المرجع السابق ، ص ٢٩٤ – ٢٩٩ .

١٧٩ – انظر ما تقدم من هذا البحث ، هامش ٩٥ .

١٨٠ – مقدمة تحقيق رسالة بن بطلان فى شرى الرقيق ، ص ٣٧٦ ؛ كمال السامرائى : المرجع السابق، جـ١ ، ص ٥٧٦ .

١٨١ – زيغريد هونكه : المرجع السابق ، ص ٢٨٧ .

١٨٢ – السامرائى : المرجع السابق ، جـ١ ، ص ٥٩ ؛ محمود الحاج قاسم : المرجع السابق ، ص ١٦١ – ١٦٢ .

١٨٣ – جان شارل سورنيا : تاريخ الطب ، ص ٨٢ – ٨٣ .

١٨٤ – ول ديورانت : قصة الحضارة ، مج٤ ، جـ٣ ، (عصر الإيمان) ، ترجمة محمد بدران ، الإدارة الثقافية بجامعة الدول العربية ، القاهرة ١٩٧٥م ، ص ١٠٩ .

١٨٥ – محمود الحاج قاسم : انتقال الطب العربى ، ص ٤٣ .

١٨٦ – جوستاف جرونيباوم : حضارة الإسلام ، ترجمة عبد العزيز توفيق جاويد ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ١٩٩٤م ، ص ٤٢٥ .

١٨٧ – زيغريد هونكه : المرجع السابق ، ص ٢٧٩ .

١٨٨ – سامي حمارنه : علوم الحياة ، بحث ضمن كتاب عبقرية الحضارة العربية ، ص ٢٥٦ .

١٨٩ – زيغريد هونكه : المرجع السابق ، ص ٣٢١ . وقد ذكر ابن أبى أصيبعة : عيون الأنباء ، جـ٣ ، ص ١٤٦ ؛ هذا الكتاب باسم " مفتاح السرور من كل الهموم ، ومفرح النفس " وقد ألفه التميمى بمصر ، وأهداه لبعض إخوانه بها .

١٩٠ – سمير يحيى الجمال : الطب والصيدلة ، جـ٣ ، ص ٣٣٢ .

١٩١ – محمود الحاج قاسم : انتقال الطب العربى ، ص ١٥٧ ؛ زيغريد هونكه : المرجع السابق ، ص ٣٠٣ .

١٩٢ – على بن رضوان : دفع مضار الأبدان ، مقدمة التحقيق ، ص ٣٨ – ٣٩ .

١٩٣ – زيغريد هونكه : المرجع السابق ، ص ٢٨٦ .

١٩٤ – زيغريد هونكه : المرجع السابق ، ص ٢٢٤ .

١٩٥ – زيغريد هونكه : المرجع السابق ، ص ٢٤٠ – ٢٤١ .

المصادر والمراجع

أولاً : المصادر :

١ – ابن أبى أصيبعة : موفق الدين أبو العباس أحمد بن القاسم السعدى الخزرجى (ت٦٦٨هـ / ١٢٧٠م) : عيون الأنباء فى طبقات الأطباء ، ثلاثة أجزاء ، دار الثقافة ، بيروت ، ١٩٨١م.

٢ – ابن أبى الصلت : أبو الصلت أمية بن عبد العزيز بن أبى الصلت الأندلسى (٥٢٨هـ / ٣٣–١١٣٤م) : الرسالة المصرية ، ضمن كتاب نوادر المخطوطات ، تحقيق عبد السلام هارون ، سلسلة النخائر ، الهيئة العامة لقصور الثقافة ، القاهرة ، ٢٠٠١م.

٣ – ابن الأثير : عز الدين أبو الحسن على بن أبى الكرم محمد الشيبانى الجزرى (ت ٦٣٠هـ / ١٢٣٣م) : الكامل فى التاريخ ، الجزء الحادى عشر ، دار صادر بيروت ، ١٩٧٩م.

٤ – ابن بُطلان : أبو الحسن المختار بن الحسن بن عبدون بن سعدون البغدادى (ت : بعد سنة ٤٥٥هـ / ١٠٦٣م) : رسالة جامعة لفنون نافعة فى شرى الرقيق وتقليب العبيد ، ضمن كتاب نوادر المخطوطات ، تحقيق عبد السلام هارون ، سلسلة النخائر ، الهيئة العامة لقصور الثقافة ، القاهرة ،١٠٠٢م .

٥ – ابن تغرى بردى : جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن تغرى بردى الأتابكى (٨٧٤هـ / ١٤٦٥م) : النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ، الجزء الخامس ، تحقيق محمد بك رمزى ، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب ، القاهرة ، ١٩٣٦م.

٦ – ابن جلجل : أبو داود سليمان بن حسان (ت : بعد سنةِ ٣٨٤هـ / ٩٩٤م) : طبقات الأطباء والحكماء ، تحقيق فؤاد سيد ، مطبوعات المعهد العلمى الفرنسى للآثار الشرقية ، القاهرة ، ١٩٥٥م.

٧ – ابن حجر العسقلانى : القاضى شهاب الدين أحمد بن على الحافظ العسقلانى (ت٨٥٢هـ / ١٤٤٨م) : رفع الإصر عن قضاة مصر ، القسم الثانى ، تحقيق حامد عبد الحميد ، القاهرة ، ١٩٦١م.

٨ – ابن دقماق : إبراهيم بن محمد بن أيدمر العلائى (ت ٨٠٩هـ / ١٤٠٦م) : الانتصار لواسطة عقد الأمصار ، الجزء الرابع ، تحقيق لجنة إحياء التراث العربى ، دار الأفاق الجديدة بيروت ، (د.ت) .

٩ – ابن رضوان : أبو الحسن على بن رضوان بن على بن جعفر المصرى (٤٥٣هـ / ١٠٦١م) : كتاب دفع مضار الأبدان بأرض مصر ، تحقيق عبد الحميد دياب، مكتبة ابن قتيبة ، الكويت ، ١٩٩٥م.

١٠ – ابن الزيات : شمس الدين أبو عبد الله محمد بن ناصر الأنصارى (٨١٤هـ / ١٤١١م) : الكواكب السيارة فى ترتيب الزيارة فى القرافتين الكبرى والصغرى ، مكتبة المثنى بغداد (د.ت) .

١١ – ابن سعيد : أبو الحسن على بن موسى بن سعيد الأندلسى (٦٨٥هـ / ١٢٨٦م) : المُغرب فى حُلى المغرب ، القسم الخاص بمصر (الفسطاط) ، تحقيق زكى محمد حسن ، وشوقى شيف ، وسيدة كاشف ، مطبعة جامعة القاهرة ، ١٩٥٣م.

– المُغرب فى حُلى المغرب ، الجزء الأول ، تحقيق شوقى ضيف ، دار المعارف ، القاهرة ١٩٧٨م.

١٢ – ابن ظهيرة : أحد علماء القرن التاسع أو العاشر الهجرى : الفضائل الباهرة فى محاسن مصر والقاهرة ، تحقيق مصطفى السقا وكامل المهندس ، مطبعة دار الكتب ، ١٩٦٩م.

١٣ – ابن عبد الظاهر : محى الدين أبو الفضل عبد الله بن عبد الظاهر بن نشوان السعدى المصرى (ت ٦٩٢هـ / ١٢٩١م) : الروضة البهية الزاهرة فى خطط المعزية القاهرة ، تحقيق أيمن فؤاد سيد ، مكتبة الدار العربية للكتاب ، القاهرة ، الطبعة الأولى ١٩٩٦م.

١٤ – ابن العبرى : أبو الفرج جمال الدين جريجوريوس بن هارون الطبيب الملطى (ت ٦٨٥هـ / ١٢٨٦م) : تاريخ مختصر الدول ، تحقيق الأب أنطوان صلحانى اليسوعى ، دار المشرق ، الطبعة الثالثة ، ١٩٩٢م.

١٥ – ابن ميسر : تاج الدين محمد بن على بن يوسف بن جلب بن راغب (ت ٦٧٧هـ / ١٢٧٨م) : المنتقى من أخبار مصر ، (انتقاه المقريزى) ، تحقيق أيمن فؤاد سيد ، المعهد العلمى الفرنسى ، للدراسات الشرقية ، القاهرة ، (د.ت) .

١٦ – أبو صالح الأرمنى : أبو المكام جرجس بن مسعود (ت : أوائل ق ٧هـ / ١٣م) : تاريخ الشيخ أبو صالح المعروف بـ : كنائس وأديرة مصر ، المطبعة المدرسية ، أوكسفورد ، ١٨٩٤م .

١٧ – البلوى : أبو محمد عبد الله بن محمد بن عمير بن محفوظ المدينى البلوى (ت : بعد نيف وثلاثين وثلاثمائة من الهجرة / ق ١٠م) : سيرة أحمد بن طولون ، تحقيق محمد كرد على ، سلسلة النخائر ، الهيئة العامة لقصور الثقافة ، القاهرة ، ١٩٩٩م.

١٨ – السيوطى : جلال الدين عبد الرحمن أبو بكر بن حمد الشافعى (ت ٩١١هـ / ١٥٠٥م): حسن المحاضرة فى أخبار مصر والقاهرة ، تحقيق خليل منصور، الجزء الأول ، دار الكتب العلمية ، الطبعة الأولى ، بيروت ، ١٩٩٧م.

١٩ – القفطى : الوزير جمال الدين أبو الحسن على بن يوسف بن عبد الواحد (٦٤٦هـ / ١٢٤٨م) : أخبار العلماء بأخبار الحكماء ، نشر جوليوس ليبرت ، ليبزج ، ١٩٠٣م.

٢٠ – القلقشندى : أبو العباس أحمد بن على القلقشندى (ت ٨٢١هـ / ١٤١٨م) : صبح الأعشى فى صناعة الإنشا ، الجزء الثالث ، تحقيق محمد حسين شمس الدين ، دار الكتب العلمية ، الطبعة الأولى ، بيروت ، ١٩٨٧م.

٢١ – المسعودى : أبو الحسن على بن الحسين على المسعودى (ت ٣٤٥ أو ٣٤٦ هـ / ٩٥٦ أو ٩٥٧م) : مروج الذهب ومعدن الجوهر ، الجزء الأول ، تحقيق يوسف أسعد داغر ، دار الأندلس ، الطبعة الأولى ، بيروت ، ١٩٨١م.

٢٢ – المقرى : أحمد بن يحيى بن عبد الرحمن بن أبى العيش بن محمد المقرى التلمسانى (١٠٤١هـ / ١٦٣١م) : نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، وذكر

وزيرها لسان الدين بن الخطيب ، الجزءان الثانى والثالث ، تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد ، الطبعة الأولى ، القاهرة ، ١٩٤٩م.

٢٣ – المقريزى : تقى الدين أبو العباس أحمد بن عبد القادر (ت ٨٤٥هـ / ١٤٤١م) : المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والاثار ، المعروف بالخطط المقريزية ، جزءان، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة (د.ت) .

– اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا ، ثلاثة أجزاء : الجزء الأول، تحقيق جمال الدين الشيال ، دار الفكر العربى ، القاهرة ، ١٩٤٨م. الجزءان الثانى والثالث ، تحقيق محمد حلمى محمد أحمد ، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، لجنة إحياء التراث الإسلامى ، القاهرة ، ١٩٧١م ، ١٩٧٣م.

٢٤ – ياقوت الحموى : شهاب الدين أبو عبد الله الحموى الرومى البغدادى (ت ٦٢٧ هـ / ١٢٢٩م) : معجم البلدان ، الجزء الثالث ، طبعة وستنفلد ، ليبتسيك ، ١٨٦٦م.

ثانيًا : المراجع :

١ – آنخل جنثالث بالنثيا : تاريخ الفكر الأندلسى ، ترجمة حسين مؤنس ، مكتبة النهضة المصرية ، الطبعة الأولى ، القاهرة ، ١٩٥٥م.

٢ – أحمد عبد اللطيف حنفى محمد (دكتور) : الدور السياسى والحضارى للجاليات المغربية فى مصر الإسلامية من عصر الولاة حتى نهاية العصر الفاطمى ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب ، جامعة طنطا ، ١٩٨٧م.

٣ – أحمد عيسى (بك) : معجم الأطباء ، القاهرة ، ١٣٦١هـ / ١٩٤٢م .

٤ – أندريه ريمون : القاهرة تاريخ حاضرة ، ترجمة لطيف فرج ، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع ، الطبعة الأولى ، القاهرة ١٩٩٤م.

٥ – بول غيلونجى وزينب الدواخلى : الحضارة الطبية فى مصر الفرعونية ، القاهرة ١٩٦٥م.

٦ – جان شارل سورنيا : تاريخ الطب من فن المداواة إلى علم التشخيص ، ترجمة إبراهيم البجلاتى ، سلسلة عالم المعرفة ، الكويت ، مايو ٢٠٠٢م.

٧ – جورجى زيدان : تاريخ التمدن الإسلامى ، الجزء الثالث ، دار الهلال ، القاهرة ، (د.ت).

٨ – جوستاف جورينباوم : حضارة الإسلام ، ترجمة عبد العزيز توفيق جاويد ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٩٤م.

٩ – رشيد الجميلى (دكتور) : حركة الترجمة والنقل فى المشرق الإسلامى فى القرنين الأول والثانى للهجرة ، منشورات جامعة قاريونس ، بنغازى ، (د.ت) .

– الحضارة العربية الإسلامية وأثرها فى الحضارة الأوروبية ، منشورات جامعة قاريونس ، بنغازى ، (د.ت) .

١٠ – زيغريد هونكه : شمس العرب تسطع على الغرب " أثر الحضارة العربية فى الأوروبية "، نقله عن الألمانية ، فاروق بيضون وكمال دسوقى ، بيروت ، ٢٠٠٠م.

١١ – سامى حمارنه (دكتور) : الطبيب العربى ابن العين زربى وأبحاثه فى العلل والعلاج، بحث ضمن أبحاث الندوة العالمية الأولى لتاريخ علوم العرب ، الجزء الأول ، معهد التراث العلمى العربى ، حلب ١٩٧٩م.

– الصناعة الطبية فى العصر الإسلامى الذهبى ، مجلة عالم الفكر ، المجلد العاشر ، العدد الثانى ، يوليو – أغسطس – سبتمبر ، الكويت ، ١٩٧٩م.

– علوم الحياة ، مقالة ضمن كتاب (عبقرية الحضارة العربية ، منبع النهضة الأوروبية) ، ترجمة عبد الكريم محفوظ ، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان ، الطبعة الأولى ، بنغازى ، ١٩٩٠م.

١٢ – سعيد الديوة جى (دكتور) : الموجز فى الطب الإسلامى ، الطبعة الأولى ، الكويت ، ١٩٨٩م.

١٣ – سعيد عبد الفتاح عاشور (دكتور) : المدنية الإسلامية وأثرها فى الحضارة الأوروبية ، دار النهضة العربية ، القاهرة ١٩٦٣م.

١٤ – سلام شافعى محمود (دكتور) : أهل الذمة فى مصر فى العصر الفاطمى الثانى والعصر الأيوبى ، دار المعارف ، القاهرة ١٩٨٢م.

– أهل الذمة فى مصر فى العصر الفاطمى الأول ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٩٥م.

١٥ – سليمان قطانة (دكتور) : الطب العربى ، مجلة عالم الفكر ، المجلد العاشر ، العدد الثانى ، يوليو – أغسطس سبتمبر ، الكويت ١٩٧٩م.

١٦ – سمير يحيى الجمال (دكتور) : تاريخ الطب والصيدلة المصرية ، الجزء الثالث ، (فى العصر الإسلامى) ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ١٩٩٩م.

١٧ – سيدة إسماعيل كاشف (دكتور) : مصر فى عصر الإخشيديين ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٨٩م.

١٨ – صفى على محمد (دكتور) : الحركة العلمية والأدبية فى الفسطاط ، منذ الفتح العربى إلى نهاية الدولة الإخشيدية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ٢٠٠٠م.

١٩ – عبد الحميد أ. صبرا (دكتور) : أبو على الحسن بن الحسين بن الهيثم " الخازن " ، مقالة ضمن كتاب (عبقرية الحضارة العربية ، منبع النهضة الأوروبية) ، ترجمة عبد الكريم محفوظ ، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان ، الطبعة الأولى ، بنغازى ، ١٩٩٠م.

٢٠ – عبد المنعم ماجد (دكتور) : امرأة مصر تتزعم مظاهرة فى عهد الخليفة المستنصر بالله الفاطمى ، المجلة التاريخية المصرية ، المجلد ٢٤ ، القاهرة ١٩٧٧م.

٢١ – عطية القوصى (دكتور) : صلاح الدين واليهود ، المجلة التاريخية المصرية ، المجلد ٢٤ ، القاهرة ١٩٧٧م.

٢٢ – غوستاف لوبون : حضارة العرب ، ترجمة عادل زعيتر ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ٢٠٠٠م .

٢٣ – فاطمة مصطفى عامر (دكتور) : تاريخ أهل الذمة فى مصر الإسلامية (من الفتح العربى إلى نهاية العصر الفاطمى) ، الجزء الثانى ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ٢٠٠٠م .

٢٤ – قاسم عبده قاسم (دكتور) : اليهود فى مصر ، دار الشروق ، القاهرة ، ١٩٩٣م.

٢٥ – كمال السامرائى (دكتور) : مختصر تاريخ الطب ، جزءان ، الدار الوطنية للتوزيع ، الطبعة الأولى ، بغداد ، ١٩٨٤م.

٢٦ – ماكس مايرهوف وجوزيف شاخت : خمس رسائل لابن بطلان وابن رضوان ، القاهرة ١٩٣٧م.

٢٧ – محمد دياب (دكتور) : الطب والأطباء فى مختلف العهود الإسلامية ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ١٩٧٠م.

٢٨ – محمد شاكر مشعل (دكتور) : الدور العربى فى التراث العلمى ، الجزء الأول ، القاهرة ١٩٧٣م.

٢٩ – محمد العربى الخطابى (دكتور) : الطب والأطباء فى الأندلس الإسلامية ، (دراسة تراجم ونصوص) ، جزءان ، دار الغرب الإسلامى ، ١٩٨٨م.

٣٠ – محمد ماهر حمادة (دكتور) : الوثائق السياسية والإدارية للعهود الفاطمية والأتابكية والأيوبية ، (دراسة نصوص) ، مؤسسة الرسالة ، الطبعة الأولى ، بيروت ، ١٩٨٠م.

٣١ – محمود الحاج قاسم (دكتور) : انتقال الطب العربى إلى الغرب ، معابره وتأثيره ، دار النفائس ، الطبعة الأولى ، دمشق ، ١٩٩٩م .

٣٢ – مختار رسمى ناشد (دكتور) : فضل الحضارة المصرية على العلوم ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ١٩٧٣م.

٣٣ – مصطفى على دويدار (دكتور) : جزيرة الروضة منذ الفتح الإسلامى حتى نهاية حكم المماليك ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، كلية الآداب ، جامعة طنطا ، ٢٠٠١م.

٣٤ – ول ديورانت : قصة الحضارة ، المجلد الرابع الجزء الثالث عشر (عصر الإيمان) ، ترجمة محمد بدران ، الإدارة الثقافية بجامعة الدول العربية ، القاهرة ، ١٩٧٥م

35 - Mourice Fargon : Les Juifs En Egypte Depuis Les Origines Jusqu'ace Jour, Le Cairo, 1936 .

36 - " " " : The Jewish Encyclopedia, Vol. V, New York, London, 1903 .